جامعة الأزهر
حولية كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بالشرقية

قصيدة
(أين الطريق إليك)
للشاعر الدكتور صابر عبدالدايم
(دراسة بلاغية)

إعداد

الدكتــور/ أسماء عبدالعال محمد عبدالعال

مدرس البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقرين

العدد الرابع

للعام ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي صان اللغة العربية ، وحفظها بإنزال القرآن الكريم على لسان عربي مبين ، والصلاة والسلام على من نطق بالضاد ، بيد أنه من قريش، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه الغر الميامين ، ومن اتبع نهجهم ، ومشى على دربهم إلى يوم الدين.

أما بعد :

فالبلاغة وسيلة الكشف عما في لغتنا الجميلة من كنوز ونفائس، والشعر أداة التعبير عما يجيش في النفوس ، ويختلج في الصدور ، وما تفيض به القرائح فى كل عصر وزمان ، ولما كان الشعر جوهر البلاغة ومعدنها ، فإن لعلم البلاغة أثره الكبير في تمييز جيد الكلام من رديئة ، وفصيحة من ركيكة ، لذا آثرت أن أتناول موضوعاً شعرياً هو:

قصيدة (أين الطريق إليك؟) للشاعر الدكتور صابر عبد الدايم (دراسة بلاغية)

إن الهدف من دراسة هذه القصيدة تحديداً ما وجدت فيها من غزارة الألوان البلاغية ، والصور البيانية التي أضفت على الأسلوب كل جمال ، وعبرت عن المعاني المرادة بكل جلاء ، فاسترعت اهتمامي، ووقفت ملياً لأتذوق من رحيق حلاوتها، ولأتنسم من جميل ذوقها ورقتها، وخاصة أنها في مدح سيد البشر سيدنا محمد(ﷺ).

بالإضافة إلى أنني عندما عزمت على عمل بحث للترقية كان ذلك موكباً لميلاد خير البشر(ﷺ) وفى نفس الوقت الذي تمَّ الإعلان فيه

بأن القدس عاصمة إسرائيل ، فوجدت هذه القصيدة وهى تحكى نفس الأحداث ، فرأيت أن خير ما أقدمه في مثل هذه الأحداث أن أشارك الشاعر عزفه على أوتار الحب الصادق الذي ظهرت ملامحه في كل حرف ، وكلمة وجملة فى هذه القصيدة الدرة ، وأن أشاركه أحزانه على ما ألمَّ بالمسلمين والمسجد الأقصى.

هذا وقد اشتمل البحث على خمسة مباحث يسبقها مقدمة وتمهيد ، ويتلوها خاتمة .

أما المقدمة فقد تناولت مخطط البحث ، وأسبابه .

والتمهيد اشتمل على ثلاث محاور:

المحور الأول: تحدثت فيه عن لمحة من حياة الشاعر.

المحور الثاني: تحدثت عن القصيدة ، ومناسبتها .

المحور الثالث: ذكرت فيه نص القصيدة.

أما مباحث البحث فتشتمل على:

المبحث الأول: مدح الرسول(ﷺ) وبيان أفضليته(١-١٦).

المبحث الثاني: استنكار ودفاع (١٧-٢٧).

المبحث الثالث: استدعاء الماضي لبعث الحاضر(٢٨-٣٤).

المبحث الرابع: المسجد الأقصى والواقع الأليم(٣٥-٤٢).

المبحث الخامس: استعطاف ورجاء (٤٣- ٥٢).

والخاتمة كانت كحصاد يعرض أهم النتائج ، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع.

والله أدعو أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الباحثة

التمهيد

المحور الأول: لمحة عن حياة الشاعر

أولاً: نسبه ومولده (١).

هو الدكتور صابر عبد الدايم يونس ولد في ١٥ مارس عام ١٩٤٨م في قرية منشأة العطارين مركز ديرب نجم محافظة الشرقية، ويقيم حالياً بحي الصفا والمروة بالمساكن التعاونية بمدينة الزقازيق.

ثانياً: مسيرته العلمية:

تلقى تعليمه في المرحلتين الإعدادية والثانوية بمعهد الزقازيق الديني في الفترة ما بين عامي ١٩٥٩-١٩٦٨م، وحصل على الليسانس بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة عام ١٩٧٢م، وحصل على درجة التخصص(الماجستير)في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٦م، ونال درجة العالمية(الدكتوراه) في الأدب والنقد عام ١٩٨١م، وعين مدرساً للأدب والنقد في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر فرع الزقازيق منذ عام ١٩٨١م حتى عام ١٩٨٥م، ثم عين أستاذاً مساعداً للأدب والنقد منذ عام ١٩٨٥م حتى عام ١٩٩٠م، ثم أستاذا للأدب والنقد منذ عام ١٩٩٠م حتى الآن، وعين عضواً بلجنة المحكمين لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بقسم الأدب والنقد بجامعة الأزهر منذ عام ١٩٩٧م، ثم عضواً باللجنة الدائمة منذ عام ٢٠٠٨م، وتولى وكالة الكلية منذ عام ١٩٩٢م حتى عام ٢٠٠٥م، كما تولى عمادة الكلية منذ عام ٢٠٠٧م حتى عام ٢٠١٣م،

---

(١) يراجع: السيرة الذاتية للشاعر في كتاب ، الدكتور صابر عبد الدايم خمسون عاماً من العطاء للغة القرآن الكريم وأدب العرب ، مقدم من قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق إعداد وتقديم ، د/ السيد محمد الديب ، ١٤٣٥هـ ، ٢٠١٤م ، ص(٢٨١).

حيث صار منذ ذلك التاريخ أستاذاً متفرغاً بقسم الأدب والنقد بالكلية.

وقد شغل سعادته العديد من المناصب بجامعة الأزهر وخارجها، فهو عضو بمجلس جامعة الأزهر فترة عمادته، وعضو باتحاد كتاب مصر، ورئيس لجنة فروع الاتحاد، ومقرر لجنة الشعر به منذ عام ٢٠٠٢م حتى عام ٢٠٠٥م، ومن عام ٢٠١٠م إلى عام ٢٠١١م، وعضو الهيئة الإدارية للمجلس العالمي للغة العربية ببيروت- لبنان، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ونائب رئيس مكتب البلاد العربية بالرياض في المملكة العربية السعودية، ورئيس مجلس إدارة جمعية الإبداع الأدبي والفني بمحافظة الشرقية، ورئيس مجلس تحرير مجلة الثقافة الجديدة بمصر، ورئيس تحرير المجلة العلمية لكلية اللغة العربية بالزقازيق والمشرف العام عليها.

وناقش الكثير من الرسائل العلمية الجامعية في مصر والسعودية، وهي تزيد عن خمسين رسالة، وسجل العديد من الباحثين الكثير من الرسائل في دراسة شعره، وكتب عنه الكثيرون من أعلام الأدب والنقد.

مؤلفاته وأبحاثه:

أولاً: دواوينه الشعرية

إن لفضيلته العديد من الدواوين الشعرية منها:

- ديوان " نبضات قلبين " بالاشتراك مع عبد العزيز عبد الدايم، عام ١٩٦٩م، مطبعة الموسكي بالقاهرة.

- ديوان " المسافر في سنبلات الزمن " عام ١٩٨٢م مطبعة الأمانة بالقاهرة.
- ديوان " الحلم والسفر والتحول " عام ١٩٨٣م، وزارة الثقافة بمصر سلسلة مواهب.
- ديوان " المرايا وزهرة النار" الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة عام ١٩٨٨م.
- ديوان "العاشق والنهر" الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة عام ١٩٩٤م.
- ديوان " مدائن الفجر" نشر وطبع" رابطة الأدب الإسلامي العالمية، دار البشير- عمان- الأردن عام ١٩٩٤م ط١، مكتبة العبيكان بالسعودية ط٢.
- ديوان " العمر والريح " الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة عام ٢٠٠٧م.

ثانياً: كتبه الأدبية والنقدية:

لقد ألف فضيلته العديد من الكتب الأدبية والنقدية، منها:

- مقالات وبحوث في الأدب المعاصر، دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٤م.
- محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة، دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٤م.
- الأدب الصوفي: اتجاهاته وخصائصه، دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٤م.
- من القيم الإسلامية في الأدب العربي، مطابع جامعة الزقازيق عام ١٩٨٨م.

- التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث، مكتبة الخانجي بالقاهرة عام ١٩٨٩م.
- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار الأرقم بالزقازيق، عام ١٩٩٠م، و" دار الشروق بالقاهرة عام ٢٠٠٢م الطبعة الثانية.
- الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، الزقازيق عام ٢٠٠٣م ط١.
- موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، مطبعة الخانجي بالقاهرة عام ١٩٩٢م ط١، ودار النشر الدولي بالرياض عام ٢٠٠٨م ط٤.
- أدب المهجر، دار المعارف بالقاهرة، عام ١٩٩٣م، والنشر الدولي بالرياض عام ٢٠٠٨م.
- الحديث النبوي رؤية فنية جمالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية عام ١٩٩٩م.
- شعراء وتجارب " نحو منهج تكاملي في النقد التطبيقي، دار الوفاء بالإسكندرية عام ١٩٩٩م.
- الأدب العربي المعاصر بين التقليد والتجديد، الزقازيق، عام ٢٠٠٠م.
- جماليات النص الأدبي في ضوء القيم الإسلامية، مكتبة الرشد بالسعودية، عام ٢٠٠٧م.
- مناهج البحث الأدبي بين القدامى والمحدثين، دار النشر الدولي بالرياض عام ٢٠٠٨م.
- ديوان الإمام الشعراوي(جمع وتحقيق ودراسة) الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠٠٩م.
- آفاق النص الشعري، دار الكتاب الحديث، عام ٢٠١٠م.

- التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث، الطبعة الثانية دار الكتاب الحديث، عام ٢٠١٠م.
- الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة الطبعة الثالثة، دار الكتاب الحديث بالقاهرة، عام ٢٠١١م.
- فنون الأدب المعاصر، دار الكتاب الحديث بالقاهرة، عام ٢٠١١م.

ثالثاً: أبحاثه:

لقد كتب سيادته العديد من الأبحاث، ومنها:

- الشعر وتعانق الفنون، مجلة الفيصل السعودية، العدد ١١٨ عام ١٩٨٧م- ١٤٠٧هـ.
- التجربة الأدبية في دائرة التصور النفسي، العدد ١٤٠ عام ١٩٨٨م- ١٤٠٩هـ.
- القصيدة المعاصرة بين الرؤية الناضجة والأدوات الفنية الجديدة، المجلة العربية عام ١٩٨٦م.
- الغرباء " رؤية نقدية لشعراء الشرقية، مجلة الشعر بالقاهرة عام ١٩٨٤م.
- آفاق التجربة الشعرية، مجلة المنهل السعودية، العدد ١٥٤ عام ١٩٨٧م.
- التجربة التأملية في شعر العقاد، مجلة الفيصل بالسعودية عام ١٩٩٧م.
- أبعاد الرؤية الإسلامية في الشعر العربي المعاصر، المجلة العلمية لجامعة أم

القرى، العدد ١٨ عام ١٩٩٩م- ١٤١٩هـ.

- المؤثرات الإسلامية في أدب المهجر، مجلة الأزهر عام ١٩٨٥م.
- الجانب الإنساني للتكافل الاجتماعي في الإسلام، بحث قدم إلى مؤتمر اتحاد الكتاب العربي بتونس عام ٢٠٠٣م، ونشر باتحاد كتاب مصر.
- التراث والأدب، بحث قدم إلى الملتقى العالمي لخريجي الأزهر بماليزيا في المدة من ١٥-١٨ فبراير عام ٢٠٠٨م.
- قراءة التراث وتشكيل الهوية، بحث قدم إلى المؤتمر الدولي الرابع بكلية دار العلوم جامعة المنيا مارس عام ٢٠٠٨م، ونشر بكتاب المؤتمر الدولي عام ٢٠٠٩م.
- الهجرة النبوية من منظور مصطفى صادق الرافعي، مجلة الأزهر، ربيع الأول عام ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ.
- العقاد وعبقرية التاريخ الهجري، مجلة الأزهر، رجب عام ٢٠١٠م-١٤٣١هـ.
- من أسرار البيان النبوي في خطبة حجة الوداع، مجلة الأزهر، ذو الحجة عام ٢٠١٢م-١٤٣٤هـ.
- من معالم شخصية المصطفى، صلى الله عليه وسلم،" إضاءات وبشارات، مجلة الأزهر، محرم عام ٢٠١٢م-١٤٣٤هـ.
- الإمام/ محمد متولي الشعراوي شاعراً وناقداً، بحث قدم إلى المؤتمر الدولي الثالث الذي نظمته كلية اللغة العربية بالزقازيق عام ٢٠١٢م، ونشر بكتاب المؤتمر عام ٢٠١٣م.

- **معالم التجربة الأدبية في ظل خصائص التصور الإسلامي، بحث قدم إلى مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية الذي عقد بتركيا في مدينة استانبول عام ١٩٩٤م.**

المحور الثاني: حول القصيدة

أولاً: مناسبة القصيدة

نظم الشاعر هذه القصيدة (أين الطريق إليك؟) [1] في ذكرى ميلاد خير البشر سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وفيها يخاطب الشاعر نبي الأمة(ﷺ) مبيناً مكانته في قلوب أمته ، وأفضليته على باقي البشر، وفيها أيضا يستنكر الشاعر صدور رسوم كاريكاتيرية على صفحات جريدة دنماركية عام ٢٠٠٥م محاولة منهم لإطفاء ذلك النور المحمدي ولكن أنى لهم ذلك؟، فمكانة نبينا أعلى بكثير من أن تدنس بأقوال هؤلاء ، فباءت محاولتهم بالفشل الذريع ونصر الله الإسلام من حيث يريدون ضره ، وفيها يتحسر الشاعر على ما آلت إلية أمة الإسلام من بعد عن منهج الله وما هم عليه من ضعف وهوان ، مستشهداً بالمسجد الأقصى ووقعه تحت وطأة الاحتلال دون أن يحرك ذلك في المسلمين شيئاً ، ويدعو أبناء الأمة للعودة إلى المجد الماضي المشرق واستعادته مستدعيا بعض الأحداث التاريخية ليبث فيهم روح الحماسة والعزيمة ، طالبا من أبناء أمته السير على منهج الله وسنة نبيه(ﷺ) وتحقيقه على أرض الواقع ،والقصيدة تزيد عن الخمسين بيتاً، ونظمها الشاعر على بحر(الكامل).

ثانياً: عنوان القصيدة

تعد هذه القصيدة واحدة من قصائد ديوان(مدائن الفجر) لشاعرنا الدكتور صابر ، وعنوان الديوان نفسه يحمل في طياته معاني الخير

(١) يراجع: الأعمال الكاملة للدكتور صابر عبد الدايم (٢/٥٥- ٦٤) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ومن الجدير بالذكر أن هذه القصيدة قد كتبت على مرحلتين الجزء الأول منها كان عام ١٩٧٨م بمدينة البيضاء بليبيا ، ثم تم تعديل النص واستكماله بمدينة الرياض بالسعودية عام ٢٠٠٦م، تم التوجيه من قبل الشاعر.

والبركة والقوة والنشاط التي تستفاد من لفظ (الفجر) وكأن قصائد الديوان ما هي إلا نوافذ يشع منها النور والأمل ونلمح منها فجر جديد يتلاشى معه آلامنا ونستعيد به قوتنا وعزيمتنا ، وأن الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، وقصيدتنا التي بين أيدينا ما هي إلا نافذة من هذه النوافذ فعنوانها له صلة وثيقة بفجر النبوة الصادق ، والسير على منهج الله وسنة رسوله(ﷺ) ما هو إلا طريق الخير والبشر ، ومن هنا كان عنوان الديوان كاشفاً عن ما يتضمنه من قصائد ، ومن المعلوم أن عنوان القصيدة في الشعر المعاصر مدخلٌ فنيٌ لعالمها ، وهو حجر الأساس الذي يقوم عليه معمار القصيدة(١) ، والمفتاح الذي تفتح به الأبواب المغلقة داخل أبيات القصيدة ، والقصيدة محل البحث بعنوان (أين الطريق إليك ؟) فنلاحظ أن الشاعر قد أعطى للعنوان ما أعطاه للعمل من عناية واهتمام ، فصاغ العنوان في أسلوب إنشائي ، وهذا الأسلوب له قدرة فائقة على إثارة الذهن وتنشيط العقل وتحريك المخاطب ، فجاء الاستفهام حاملا معنى الحيرة والحسرة فالجميع يعلم الطريق بحكم فطرته ، ولكن الشاعر أراد أن يظهر تحسره وحزنه للبعد عن هذا الطريق وكأننا ضللناه ، وأصبحنا لا نعرفه لأننا لم نتبع السبل الموصلة إليه ، وجاء الشاعر فى عنوان قصيدته مبيناً الغاية من ارتياد هذا الطريق من خلال قوله: (إليك) فحرف الجر(إلى) لانتهاء الغاية ، والمخاطب هو حضرة النبي الكريم(ﷺ) فالغاية القصوى هو رضا الله من خلال رضي نبيه المصطفى(ﷺ) ولا يتحقق ذلك إلا إذا سرنا على نهجه وسنته وسرنا على هذا الطريق القويم الذي هو المصدر الثاني للتشريع

(١) يراجع: التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث ، د/ صابر عبد الدايم(٥٦) ط١٩٩٠م .

وفيه الخير والسعادة ، ومن هنا ومن خلال هذا العنوان تظهر المحاور والأفكار التي تشتمل عليها القصيدة وتتلخص فيما يلي:

الفكرة الأولى : مدح الرسول(ﷺ) وبيان أفضليته(١-١٦).

الفكرة الثانية : استنكار ودفاع (١٧-٢٧).

الفكرة الثالثة : استدعاء الماضي لبعث الحاضر(٢٨-٣٤).

الفكرة الرابعة : المسجد الأقصى والواقع الأليم (٣٥-٤٢).

الفكرة الخامسة : استعطاف ورجاء (٤٣- ٥٢).

المحور الثالث (النص)

أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَيْكَ ؟

دفاعا عن نبي الإسلام ....

إلى سيد الثقلين ، وخاتم الأنبياء ، والسراج المنير ، والرحمة المهداة

محمد بن عبدالله(ﷺ)

يَـا سَـيِّدِي والشَّـمْسُ بَعْـضُ ضِـيَاكَا ... هَـلْ تُطْفِـئُ الـرِّيحُ الْعَقِـيمُ سَـنَاكَا؟

لاَ..لاَ فَأَنْـتَ الْمُصْـطَفَى وَالْمُجْتَبَـى ... وَالْكَـوْنُ قَـاعٌ صَفْصَـفٌ لَوْلاَكَـا

بَـكَ بَشَّـرَ اللهُ السَّـمَاءَ فَزُيِّنَـتْ ... وَالأَرْضُ تَخْطَـرُ فِـي ضُـحَى بُشْـرَاكَا

تَتَسَـابَقُ الأَقْمَـارُ فِـي أَفْلاَكِهَـا ... سَـعْياً إِلَيْـكَ وَتَحْتَمِـي بِحِمَاكَـا

أَيْـنَ الطَّرِيـقُ إِلَيْـكَ فِـي زَمَـنٍ تَنَـافَسَ ... كُـلُّ مَـا فِيـهِ لِمَحْـوِ خُطَاكَـا؟

لَكِنَّهَـا فِـي الأَرْضِ أَصْـلٌ ثَابِـتٌ ... وَفُرُوعُهَـا تَتَبَـوَّأُ الأَفْلاَكَـا

خَطَـرَتْ عَلَـى السَّـيْفِ الْمُشِـعِّ مَحَبَّـةً ... لِلْعَـالَمِينَ وَقَوَّضَـتْ أَعْـدَاكَا

فَـإِذَا الْحَيَـاةُ كَمَـا أَرَدْتَ حَدِيقَـةً ... وَثِمَارُهَـا غَـرْسٌ سَـقَتْهُ يَـدَاكَا

وَإِذَا الْعُقُـولُ كَمَـا بَنَيْـتَ مَنَـارَةً ... وَإِذَا النُّفُـوسُ كَمَـا هَوِيـتَ فِـدَاكَا

تَمْضِـي الْقُـرُونُ وَأَنْـتَ أَنْـتَ مُحَمَّـدٌ ... تَهَـبُ الْوُجُـودَ الْمُـرَّ فَـيْضَ شَـذَاكَا

صَـنَعُوا مِـنَ الصَّـخْرِ الأَصَـمِّ وُجُـودَهُمْ ... فَغَـدَوا دُمًـا لاَ تَسْـتَطِيعُ حِرَاكَـا

وَرَفَضْـتَ حَتَّـى أَنْ نَـرَى لَـكَ صُـورَةً ... فَبَقَيْـتَ وَالْقُـرْآنُ سِـرٌّ بَقَاكَـا

مَـا الْخُلْـدُ أَنْ تَبْقَـى أَمَـامَ عُيُونِنَـا ... لَكِنَّـهُ أَنْ لاَ نُحِـبَّ سِـوَاكَا

وَمِـنَ الْمَحَبَّـةِ أَنْ تَظَـلَّ قُلُوبُنَـا ... بِرِضَـاكَ مُثْمِـرَةً وَعِطْـرُ نَـدَاكَا

يَـا سَـيِّدِي والشَّـمْسُ بَعْـضُ ضِـيَاكَا ... هَـلْ تُطْفِـئُ الـرِّيحُ الْعَقِـيمُ سَـنَاكَا؟

تَتَسَـابَقُ الأَقْمَـارُ فِـي أَفْلاَكِهَـا ... سَـعْياً إِلَيْـكَ وَتَحْتَمِـي بِحِمَاكَـا

يَـا وَاهِـبَ الأَكْـوَانِ خَيْـرَ رِسَـالَةٍ ... إِنَّـا نَعِـيشُ عَلَـى صَـدَى نَجْوَاكَـا

السَّـــارِقُونَ النّـــورَ مِـــنْ أَرْوَاحِنَـــا ظَنّـــوا التّقَـــدُّمَ مِـــدْفَعاً فَتّاكَـــا
هَبُّـــوا جِيَاعـــاً وَالْعَقِيـــدَةُ صَـــيْدُهُمْ هَـلْ يَنْصُـرُ الـدَيَّانُ مَـنْ عَادَاكَـا؟
الْغَـــارِقُونَ بِتِـــيهِهِمِ وَضَـــلاَلِهِمْ فَقَـــدُوا أَمَـــامَ جَمَالِـــكَ الإِدْرَاكَـــا
ظَنّـــوا رُسُـــومَهُم تُشَـــوِّهُ شِـــرْعَةً اللهُ أَيَّـــــدَهَا وَصَـــــانَ خُطَاكَـــــا
وَالْمُؤْمِنُـــونَ الْغَاضِـــبُونَ تَـــدَافَعُوا شُـــــهُباً تُبِيـــدُ الآثِـــمَ الأَفّاكَـــا
وَلَيَنْصُـــــرَنَّ اللهُ كُـــــلَّ مُوَحِّـــــدٍ وَيَصُـــبُّ فَـــوْقَ الْمُعْتَـــدِينَ هَلاَكَـــا
أَنْـتَ الْحَبِيـبُ الْمُصْـطَفَى وَالْمُجْتَبَـى وَاللّهُ يَنْصُـــرُ كُـــلَّ مَـــنْ وَالاَكَـــا
قَـدْ تُمْهِـلُ الأَقْـدَارُ غِـراً حَاقِـداً لَكِنّهَـــا لاَ تَنْصُـــرُ الإِشْـــرَاكَا
إِنّـا نَسِيرُ عَلَـى السّيُوفِ إِلَيْكَ فِـي عَصْـرٍ يُحَـرِّقُ مَـنْ يَـرُومُ هُـدَاكَا
نَـارُ الْخَلِيـلِ نَخُـوضُ فِـي أَفْيَائِهَـا فِـــي كُـــلِّ يَـــوْمٍ وَالنّجَـــاةُ لِقَاكَـــا
"وَأَنَـا النّبِـيُّ لاَ كَـذِبْ" وَأَنَـا ابْنُ عَبْدِ الْمُطّلِـــبْ تَتَحَـــدَّيَانِ عِـــدَاكَا
تَتَحَـــدَّيَانِ الْمُغْمِضِـــينَ قُلُـــوبَهُمْ والرَّافِضِـينَ سَـبِيلَ مَـنْ قَوَّاكَـا
تَتَكَـــاثَرَانِ مَـــعَ الزّمَـــانِ فَكُلّنَـــا حَـرْبٌ عَلَـى مَـنْ يَسْـتَبِيحُ حِمَاكَـا
هِـيَ صَـيْحَةٌ لَـكَ فِـي حُنَـيْنٍ حَطّمَـتْ جَـيْشَ الْغُـرُورِ وَخلّـدَتْ دَعْوَاكَـا
كَانَـتْ بِسَـيفِ ابْـنِ الْوَلِيـدِ مَضّـاءَةً وَالنّصْـرُ ظِـلُّ مُحَـارِبٍ يَهْوَاكَـا
وَعَلَـى الأَسِـنّةِ كَـانَ نُـورُ لَهِيبِهَـا حِمَمـاً تَشُـلُّ طَرِيـقَ مَـنْ آذَاكَـا
وَتَنَقّلَـتْ عَبْـرَ الْقُـرُونِ صَـوَاعِقاً سَحَقَتْ حُصُونَ الْبَغْيِ وَهِـيَ صَدَاكَا
يَـا أَيُّهَـا الْمُسْـرَى بِـهِ لِلْمَسْـجِدِ الأَقْصَـى أَضَـاعَ خِلاَفُنَـا مَسْـرَاكَا

كُنْـتَ الإِمَـامَ لِكُـلِّ صَـاحِبِ دَعْـوَةٍ ... وَالْيَـوْمَ وَاقِعُنَـا يَضِـلُّ رُؤَاكَـا

خَـارَتْ عَزَائِمُنَـا وَغَـاضَ يَقِينُنَـا ... وَتَشَـبَّعَتْ أَيَّامُنَـا بِسِـوَاكَا

حَتَّـى فَقَـدْنَا طَعْـمَ كُـلِّ حَقِيقَـةٍ ... أَمِـنَ الْيَسِـيرِ الْيَـوْمَ أَنْ نَنْسَـاكَا

وَلَقَـدْ نُسِـينَا وَالْهَـوَانُ سَـعَى بِنَـا ... لِلـذِّكْرَيَاتِ وَلَـمْ نَعِـشْ ذِكْرَاكَـا

حَتَّـى غَـدَوْنَا لِلـذِّئَابِ فَرِيسَـةً ... وَالْغَـابُ شِـرْعَةَ كُـلِّ مَـنْ عَادَاكَـا

أَنَظَـلُّ فِـي قَلْـبِ الْجَلِيـدِ بِـلاَ هُـدىً ... يُحْيِـي مَـوَاتَ قُلُوبُنَـا لِتَرَاكَـا؟

فَـالْحُلْمُ يَسْـخَرُ مِـنْ تَبَلُّـدِ رُوحِنَـا ... وَالأَمْنِيَّـاتُ أَسِـيرَةٌ لِرِضَـاكَا

فَمَتَـى رِضَـاؤُكَ عَـنْ بَقَايَـا أُمَّـةٍ ... فَقَـدَتْ حَصَـانَتَهَا وَفَـيْضَ رُؤَاكَـا؟

غَابَـتْ وَرَاءَ الشَّـمْسِ وَهِـيَ حَسِـيرَةٌ ... لَـمْ تَسْـتَجِبْ فِـي بَأْسِـهَا لِهُـدَاكَا

يَاسَـيِّدِي والشَّـمْسُ بَعْـضُ ضِـيَاكَا ... هَـلْ تُطْفِـئُ الـرِّيحُ الْعَقِـيمُ سَـنَاكَا؟

تَتَسَـابَقُ الأَقْمَـارُ فِـي أَفْلاَكِهَـا ... سَـعْياً إِلَيْـكَ وَتَحْتَمِـي بِحِمَاكَـا

مَـاذَا أَقُـولُ لِكُـلِّ مَـنْ عَادَاكَـا؟ ... عُمْـيٌ وَصُـمٌّ يُـدْمِنُونَ جَفَاكَـا

مَـاذَا أُضِـيءُ وَلَـيْسَ حَـوْلِي ومَضَـةً ... أَسْـمُو بِهَـدْيِ رَجَائِهَـا لِعُلاَكَـا؟

أَأُرَدِّدُ النَّـبْضَ الْقَـدِيمَ وَفِـي دَمِـي ... بِكْـرُ الـرُّؤَى نَضَـجَتْ بِنَـارِ هَوَاكَـا؟

لَكِـنَّ بُرْكَـانَ الْهَـوَى فِـي خَـاطِرِي ... مَـا زَالَ لاَ يَـدْرِي مَتَـى يَلْقَاكَـا؟

أَيْـنَ الطَّرِيـقُ إِلَيْـكَ فِـي زَمَـنٍ تَنَـافَسَ ... كُـلُّ مَـا فِيـهِ لِمَحْـوِ خُطَاكَـا؟

لَكِنَّهَـا فِـي الأَرْضِ أَصْـلٌ ثَابِـتٌ ... وَفُرُوعُهَـا تَتَبَـوَّأُ الأَفْلاَكَـا

المبحث الأول:

مدح الرسول(ﷺ) وبيان أفضليته(١-١٦).

يَـا سَـيِّدِي والشَّـمْسُ بَعْـضُ ضِـيَاكَا هَـلْ تُطْفِـئُ الـرِّيحُ الْعَقِـيمُ سَـنَاكَا؟

لاَ..لاَ فَأَنْـتَ الْمُصْـطَفَى وَالْمُجْتَبَـى وَالْكَـوْنُ قَـاعٌ صَفْصَـفٌ لَوْلاَكَـا

بَـكَ بَشَّـرَ اللهُ السَّـمَاءَ فَزُيِّنَـتْ وَالأَرْضُ تَخْطَـرُ فِـي ضُـحَى بُشْـرَاكَا

تَتَسَــابَقُ الأَقْمَــارُ فِــي أَفْلاَكِهَــا سَــعْياً إِلَيْــكَ وَتَحْتَمِــي بِحِمَاكَــا
أَيْنَ الطَّرِيـقُ إِلَيْكَ فِـي زَمَـنٍ تَنَـافَسَ كُــلُّ مَــا فِيــهِ لِمَحْــوِ خُطَاكَــا؟
لَكِنَّهَــا فِــي الأَرْضِ أَصْــلٌ ثَابِــتٌ وَفُرُوعُهَــا تَتَبَــوَّأ الأَفْلاَكَــا
خَطَـرَتْ عَلَـى السَّيْفِ المُشِـعِّ مَحَبَّـةً لِلْعَــالَمِينَ وَقَوَّضَــتْ أَعْــدَاكَا
فَــإِذَا الْحَيَــاةُ كَمَــا أَرَدْتَ حَدِيقَــةً وَثِمَارُهَــا غَــرْسٌ سَــقَتْهُ يَــدَاكَا
وَإِذَا الْعُقُــولُ كَمَــا بَنَيْــتَ مَنَــارَةً وَإِذَا النُّفُــوسُ كَمَــا هَوِيــتَ فِــدَاكَا
تَمْضِـي الْقُـرُونُ وَأَنْـتَ أَنْـتَ مُحَمَّـدٌ تَهَـبُ الْوُجُـودَ المُـرَّ فَـيْضَ شَـذَاكَا
صَـنَعُوا مِـنَ الصَّـخْرِ الأَصَمِّ وُجُـودَهُمْ فَغَــدَوا دُمًــا لاَ تَسْــتَطِيعُ حِرَاكَــا
وَرَفَضْـتَ حَتَّـى أَنْ نَـرَى لَـكَ صُـورَةً فَبَقَيْــتَ وَالْقُــرْآنُ سِــرُّ بَقَاكَــا
مَــا الْخُلْـدُ أَنْ تَبْقَـى أَمَـامَ عُيُونِنَـا لَكِنَّــهُ أَنْ لاَ نُحِــبَّ سِــوَاكَا
وَمِــنَ الْمَحَبَّــةِ أَنْ تَظَــلَّ قُلُوبُنَــا بِرِضَــاكَ مُثْمِــرَةً وَعِطْــرُ نَــدَاكَا
يَـا سَـيِّدِي والشَّـمْسُ بَعْـضُ ضِـيَاكَا هَـلْ تُطْفِـئُ الـرِّيحُ الْعَقِـيمُ سَـنَاكَا؟
تَتَسَــابَقُ الأَقْمَــارُ فِــي أَفْلاَكِهَــا سَــعْياً إِلَيْــكَ وَتَحْتَمِــي بِحِمَاكَــا

استهل الشاعر قصيدته التي هي من بحر(الكامل) بأسلوب النداء مخاطبا الرسول(ﷺ) في قوله:(يا سيدي) وأفاد هذا النداء تعظيمه وبيان رفعته وقدره الجليل(ﷺ)، وجاء بحرف النداء(يا) التي للبعيد لتناسب مكانة الرسول العالية الرفيعة ، وليناسب مد الصوت في هذا الحرف ما بداخل الشاعر من حب للرسول الكريم فحبه لا نهاية له ، وعضد هذا المعنى أن المنادى جاء بلقب(سيدي) وهو الرسول الكريم، وهذا فيه عظمة وتشريف وافتخار، لما في السيادة من العزة والسلطان ووجوب الطاعة، ولكنها

سيادة لا تكبر فيها ولا رياء ولا سيطرة ، فهي نابعة من حسن خصاله(ﷺ) فهو خاتم الأنبياء ودرة متألقة ، وأكد هذا المعنى الإضافة إلى ياء المتكلم التي أفادت الافتخار والتشريف بالإضافة لهذه الشخصية الكريمة التي أرسلها الله للناس كافة فكانت رحمة وهدى للبشرية ، فبعثته(ﷺ) كانت لخروج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان والعدل، وهذا ما أقره الشاعر وأكد عليه من خلال صورة بيانية رائعة تمثلت في هذا التشبيه الضمنى[1] في قوله:(والشَّمْسُ بَعْضُ ضِيَاكَا)، حيث شبه النبي(ﷺ) بأنه مصدر الضوء والنور لهذا الكون، وضياء الرسول ليس مجرد نور أضاء المكان فقط ، الضياء هو(مَا يَتَخَلَّل الْهَوَاء من أجزاء النُّور فيبيض بذلك وَالشَّاهِد أَنهم يَقُولُونَ ضِيَاء النَّهَار وَلَا يَقُولُونَ نور النَّهَار إِلَّا أَن يعنوا الشَّمْس فالنور الْجُمْلَة الَّتِي يتشعب مِنْهَا[2]، وعليه جرى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾[3] ، وعلى هذا كان وصف الرسول بهذه اللفظة(ضياكا) دقيقة في مكانها ، وكأن نور هذا الرسول وعطاءه لمن حوله نابع من داخله أصلاً في

(١) التشبيه الضمني: هو تشبيهٌ لا يوضعُ فيه المشبَّهُ والمشبَّهُ به في صورةٍ من صورِ التشبيهِ المعروفةِ، بل يلمحُ المشبَّهُ والمشبَّهُ به، ويفهمانِ من المعنَى، وهذا النوع يُؤْتَى به لِيُفيدَ أنَّ الحُكم الذي أُسْنِدَ إلَى المشَبَّهِ مُمكنٌ كقول المتنبي (من يهن يسهل الهوانُ عليه ما لجُرحٍ بميِّت إيلامُ) . يراجع: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ضبط وتوثيق: د/يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت ص(٢٣٩).

(٢) يراجع: الفروق اللغوية للعسكري ت/ محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، ص(٣١١).

(٣) يونس:(٥).

ذاته، والشمس التي تمدنا بالضوء والدفء ما هي إلا بعض من ضيائه الوهاج ، ولكن الفرق بينه وبين الشمس، أنَّ ضياءه أزلى لا ينقطع ولا ينفذ حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فهو أصل الأضواء والنور فى الكون، بخلاف الشمس فهي تأتى وتزول، وحسن بلاغة هذا التشبيه أنه من أنواع التشبيه البليغ، التي تزداد فيه المعاني البليغة عن التشبيه الصريح ومن بينها إقامة الدليل المقنع على هذه المعاني، والتشبيه الضمني في أسلوب غير صريح(يحتاج إلى تأمل وطول نظر، فإذا ما جاهدت النفس في الوصول إلى المعاني، كانت كالدليل على مفهومها وتأكيدًا لها، فتستقر في النفس وتكون أشد علوقًا بها، فلا تذهب عنها إلا بعد أمد بعيد)[1].

واختيار الشاعر للشمس فى هذا التشبيه له دلالة رائعة ، فكما أن الشمس يعمُّ نفعها وعطاؤها للجميع المطيع منهم والعاصي ، فكذلك الرسول الكريم كانت رسالته عامة لا تخص قوماً دون قوم والسيادة تجمعت في خلقه وشمائله(ﷺ).

ويؤكد الشاعر في الشطر الثاني على تعظيم النبي(ﷺ) فهو النور الدائم والسراج المنير، فينفى وجود أي شيء يطفئ هذا النور من خلال الاستفهام المجازى فيقوله:(هل تطفئ الريح العقيم سناكا؟) وهذا الاستفهام خرج من معناه الحقيقي ليفيد معنى النفي، أي لا يستطيع أحد أن ينال من هذا النور حتى وإن كانت الريح العقيم التي لا تترك شيئاً فهي لا بركة فيها ولا خير، وقد وفِّق الشاعر في استخدام هذا الأسلوب لأن الاستفهام الذي

(١) يراجع: التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، علي علي صبح ،المكتبة الأزهرية للتراث ،ط١، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م ، ص(٨٧).

أريد به النفي يفوق النفي الصريح(إذ النفي الصريح خالٍ من التحريك والتنبيه وإثارة المشاعر، أما الاستفهام ففيه بعث على النظر والتأمل، وحث على التفكير والتدبر)[١] كما أنه أمعن في الدلالة على استحالة حدوث الفعل وهذا يؤكد المعنى الذي يريده الشاعر ويوضحه ، وقد وفق الشاعر في الإتيان بالاستفهام مسبوقا بأسلوب النداء، فمن المعلوم أنَّ(النداء يوقظ النفس ويلفت الذهن ، وينبه المشاعر، وبذلك هيأ نفس السامع لتلقى هذا الاستفهام، فصادف نفساً يقظة ليقع منها موقع الإصابة حيث تتلقاه بحس واعٍ وذهن منتبه)[٢]، وقوله:(الريح العقيم) استعارة تصريحيه لكلام الطاعنين حيث شبه كلامهم بالريح العقيم فمع قوتها فهي لم تنل من نوره وقدره ومكانته(صلى الله عليه وسلم)، وهذا فيه اقتباس من قول الله تعالى:﴿ ﴾[٣]، وهذا الاقتباس أضفى على العبارة شيئاً من قداسة القرآن الكريم ، وأحسن تجسيد التجربة وتجليتها ، وساعد على إثرائها وفخامتها ، فالشاعر عندما يثرى كلامه بالمعاني القرآنية في أماكنها اللائقة بها ومواضعها المناسبة لها " لا شبهة فيما يصير للكلام بذلك من الفخامة والجزالة والرونق)[٤]

---

(١) يراجع: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ، د/ بسيونى فيود مؤسسة المختار ط٢ ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م(١٤٠/٢).

(٢) يراجع: علم المعاني ، د/بسيونى فيود(١٢١/٢).

(٣) سورة الذاريات : (٤١).

(٤) يراجع: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد ت/أحمد الحوفي، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة(٥/١).

ومما يدل على براعة الشاعر في اختيار ألفاظه التعبير بلفظ (الريح) دون (الرياح) لما فيها من القوة والشر، حيث عضد المعنى وقواه .

والاستهلال بهذا الأسلوب الإنشائي يعكس مدى صدق عاطفة الشاعر، وساعده على إخراج الشحنة العاطفية ومشاعره الوجدانية المتزاحمة داخله تجاه النبي الكريم (ﷺ)، وقد جمع الشاعر فى هذا المطلع بين الأسلوب الإنشائي والأسلوب الخبري ، وهذا من براعة الاستهلال ، وهو:(أن يكون مطلع الكلام دالاً على غرض المتكلم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة)[1]

ومن الأساليب التي أضفت على الكلام حسناً التصريع[2] بين (ضِيَاكَا)، (سناكا) والذي أضفى نغماً موسيقياً وجمالاً وبهاءً يتناسب مع عظمة الرسول الكريم ، كما أنه زاد من قوة أداء الفكرة التي أرادها الشاعر.

ولم يكتف الشاعر بالنفي الذي ساقه من خلال أسلوب الاستفهام في قوله:(هل تطفئ الريح العقيم سناكا؟)، ولكنه جاء مكرراً النفي في أسلوب صريح فيقول:

لاَ..لاَ فَأَنْتَ الْمُصْطَفَى وَالْمُجْتَبَى وَالْكَوْنُ قَاعٌ صَفْصَفٌ لَوْلاَكَا[3]

وفى هذا البيت أكد الشاعر النفي الذي تضمنه البيت السابق، وكرر

---

(١) يراجع: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للشيخ عبد المتعال الصعيدي ،ط١ مكتبة الآداب ، ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩ م ، (٧٠٨/٤).

(٢)التصريع: وهو جعل العروض مقفاه تقفية الضرب. يراجع: بغية الإيضاح (٤/ ٦٥٩).

(٣) وأرض صفصف: ملساء مستوية، يراجع: لسان العرب لابن منظور(ت ٧١١ هـ) ط٣ - ١٤١٤هـ ، دار صادر ، بيروت ، مادة(صفف).

نفى هذا الانطفاء، وبذلك تتلاحم الأبيات فهي بمثابة الحلقات التي تسلم بعضها الأخرى ، والسر في استخدام حرف النفي(لا) دون غيره لما فيه من امتداد الصوت وانطلاقه والذي يشعر بتطاول زمن النفي(وأن النفي به حرى أن يكون للتأبيد)[١]، وهذا يعضد المعنى الذي يريده الشاعر ، وهو استحالة حدوث الانطفاء للنور النبوي المتمثل في سنته ومنهجه(ﷺ) ، وقد كرر الشاعر حرف النفي مرتين من أجل التأكيد وكأن نبرة هذا النفي مستمرة ودائما بترديد هذا الصوت(لا..لا) ، (والقاعدة الأولية في التكرار أن اللفظ المكرر وثيق الصلة والارتباط بالمعنى العام الذي يريده الشاعر وهو إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها) [٢]وعلل الشاعر وبين سبب هذا النفي قائلاً:(فأنتَ المُصطفى والمُجتبى)فـ(الفاء) سببية ، والمعنى أنك يا رسول الله لا ينال منك أحد لأنك قد اصطفاك الله واجتباك، وأكد هذا المعنى من خلال القصر القائم على تعريف الطرفين ، في قوله:(فأنتَ المُصطفى) وهو قصر موصوف على صفه حيث قصر الذات المحمدية على صفتي الاصطفاء والاجتباء، ونلاحظ أن الشاعر لم يتبع أسلوب الترقي في استخدام الصفات ، ولكنه عبر بصفة الاصطفاء أولاً ، وهى أعلى من الاجتباء ، وهذا فيه دلالة على تعظيم الرسول الكريم ومكانته عند ربه جلَّ وعلا ، وعبر الشاعر بضمير المخاطب هنا لاستحضار ذات النبي(ﷺ) ، فهو وإن غاب عن عيوننا إلا أنه حاضر في قلوبنا وعقولنا ، وتعلقت به نفوسنا فهو لا يفارقنا ، والتعبير عن الصفتين بصيغة(اسم المفعول) أكَّد على حدوث هاتين الصفتين وثبوتهما.

---

(١) يراجع: قراءة فى الأدب القديم ، د/ محمد أبو موسى ، م وهبة ، ط٢، ١٩٩٨م، ص(٢٠٧).
(٢) يراجع: بحث بعنوان الصورة البيانية في ديوان(مع الله) للشاعر عمر الأميري ، د/صلاح الدين غراب(٣١٩) نشر بمجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق العدد الخامس والعشرون.

ومازال الشاعر يبرهن ويدلل على فضل وجود النبي الكريم وأثره على الكون فيقول في الشطر الثاني(وَالْكَوْنُ قَاعٌ صَفْصَفٌ لَوْلاَكَا) ووجود(الواو) بين الشطرين هنا عمل على تعميق الجو الشعوري الموحد الذي يجمع بين الشطرين، وهذا الشطر بيان لمنزلة الرسول الكريم وأثر وجوده على الكون ، وهنا تشبيه بليغ قد حذفت منه الأداة ليؤكد المعنى ويوضحه حيث شبه الكون فى حالة عدم بعثة النبي بالأرض الملساء المستوية، التي لا نبات فيها ولا بناء، ولا انخفاض ولا ارتفاع، وهو كناية عن الخراب وانعدام الحياة لولا وجود الرسول وهى كناية مبنية عن المجاز والشطر مبنى على جملة الشرط أي(لولا وجودك يا رسول الله لصار الكون قاعاً صفصفاً لا حياة فيه) فـ(لولا) حرف امتناع لامتناع أي امتناع الجواب لوجود الشرط، وقد حذف جواب الشرط وألحقت كاف الخطاب بـ(لولا) وهذا الحذف فيه دلالة على زيادة التأكيد والاختصاص ، وأن بعثة الرسول(ﷺ) هي المختصة بوجود الكون على هذه الحالة من العمران والحياة ، فشريعته وما بلغه عن رب العزة هو سبب في حسن هذا الكون وتحقيق الخير والسعادة له وحسن المظهر للرائى له ، والبيت فيه اقتباس من قوله تعالى:﴿ گ گ گ﴾[1]، وهذا الاقتباس ساعد على أداء الصورة في أجلِّ معانيها حيث أضْفت معاني القرآن جمالاً وجلالاً على المعنى ، بالإضافة إلى ما أحدثه تكرار الصوت في كلمة(صفصفا) من تأكيد للمعنى وبيان دقة تصوير الكون لولا بعثة النبي ، حيث تكررت الحروف في اللفظ الواحد ، والسر في ذلك أنه كلما تكررت الحروف في اللفظ الواحد كان ذلك إيذانا

(١) سورة : طه (١٠٦).

بتكرير الحدث بصورة نغمية منظمة ، وكأن الأرض لولا هذه البعثة لصارت سطحاً مستوياً استواء بعد استواء ليس هناك مظهر من مظاهر الحياة فيها، وهذه الجملة الشرطية قصيرة لكنها تحمل في طياتها معاني كثيرة ، وهذا من الإيجاز، والبلاغة الإيجاز، وهى تجرى مجرى الحكمة ، ولم يكتف الشاعر ببيان أثر هذه البعثة على الكون فقط ، ولكن أراد أن يبين لنا مظاهر الاحتفال بهذا القدوم في السماء والأرض من خلال قوله:

بَـكَ بَشَّـرَ اللهُ السَّـمَاءَ فزُيِّنَـتْ وَالأَرْضُ تَخْطَرُ فِـي ضُحَى بُشْرَاكَا

وهنا يخاطب الشاعر حضرة الرسول الكريم مستحضراً إياه من خلال(كاف الخطاب) وهذا فيه تشريف وتعظيم لذاته(ﷺ)، ويكشف عن عاطفة الشاعر الصادقة ومدى شغفه وتعلق قلبه بالنبي(ﷺ) وهنا قدم الجار والمجرور(بك) ليفيد الاختصاص فاختص(ﷺ) بالرسالة الخاتمة التي بشَّر الله بها السماء والأرض فكانت الاستجابة في غاية السرعة فرحا وسروراً بهذا القدوم ، وقد وُفِّق الشاعر في اختيار الفعل(بَشَّرَ) دون الفعل(أخبر) لما في هذا الفعل من البشارة والسرور دون أخبر فيقال:(أَن الْبشر أول مَا يظْهر من السرُور بلقي من يلقاك ، وَمِنْه الْبشَارَة وَهِي أول مَا يصل إليك من الْخَبَر السار)[1]، وكأن هذه البشارة كانت بمثابة أول بشرى تُخبر بها السماء والأرض، بالإضافة إلى التشديد في الفعل الذي بمثابة التأكيد لفعل البشرى ، وكانت الإجابة في شأن السماء قوله:(فزُيِّنت) فـ(الفاء) للتعقيب ولبيان سرعة الاحتفاء والسرور الذي عمَّ السماء بهذا القدوم عقب هذا التبشير، وقد أدى بناء الفعل للمجهول دلالة على الاتساع والشمول ،

(١) يراجع: الفروق اللغوية للعسكري ص(٢٦٤).

فالزينة كانت تعم السماء بكل ما فيها ، كما أنه أوقع النفس فى ظلال معانٍ غير متناهية من التفخيم والتهويل من هذه الزينة بغض النظر عن فاعلها.

وبعد أن بيَّن الشاعر موقف السماء من هذا التبشير بيَّن موقف الأرض فقال :

وَالأَرْضُ تَخْطَـــــــــرُ فِـــــــــي ضُـــــــــحَى بُشْـــــــــرَاكَا

ووجود(الواو) بين الشطرين عمل على تعميق الجو الشعوري الموحَّد الذي يجمع السماء والأرض وهو الفرح والتهليل بسبب هذه البشرى ، وهى ميلاد خير البشر(ﷺ) ، وهنا بيان لاستجابة الأرض وترحيبها بهذا القدوم المبارك ، حيث تباهت وتفاخرت وتمايلت فرحاً بهذه البشرى ، وعبر الشاعر بالفعل المضارع (تَخْطُرُ) وما يحمله هذا الفعل من معنى رائع من الاستمرار والتجدد ، واستحضار الصورة ، وكأن الأرض مازالت وستظل تحتفي وتتباهى بقدوم خير البشر، كما فيه كناية عن تكاثر أتباع وأنصار هذا الدين إلى يوم القيامة ، وزاد من رونق المعنى الصورة البيانية التي اشتمل عليها البيت ، وهى الاستعارة المكنية[1] ، وقد أفادت هذه الاستعارة تجسيد الأرض كما أدت معنى الاتساع والشمول والحركة فكل ما في الأرض من جمادات ومتحركات حفلت بهذا القدوم ، ونلاحظ أيضاً أن الشاعر قد شبه البشرى بالرسول(ﷺ) بالشمس، والنور الذي عم الكون بعد الظلام ، لفظ (الضحى) يدل على بدايات هذه البشرى ، وهذا الشطر كناية عن الترف والرغد الذي عم الأرض بهذا القدوم ، وما كان

(١) وإجراء الاستعارة : شبه الشاعر الأرض بإنسان يتمايل ويتباهى ويفتخر ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الفعل(تخطر).

لهذا القدوم من أثر طيب على كل ما حوله ، وأكبر هذه الظواهر السماء والأرض، كما أن الطباق بين لفظي (السماء ، الأرض) أدى دوره في التأكيد على معنى المدح ، وشمول البشرى الكون كله، سماء وأرض(والعنصر الجماليُّ في الطباق هو ما فيه من التلاؤم بينه وبين تداعي الأفكار في الأذهان، باعتبار أنّ المتقابلات أقرب تخاطراً إلى الأذهان من المتشابهات والمتخالفات)[١]، وزاد الصورة وضوحاً جناس الاشتقاق في بين(بشَّر، بشراكا) الذي حسنت الإفادة منه من خلال تكرار المعنى وإعادته ، وحسن هذا الجناس أنه (يعكس الحركة النفسية الداخلية لدى الشاعر وإطلالها على عالمه الخارجي المحدود)[٢]

وهذا البيت فيه تضمين[٣] لبيت أمير الشعراء :

بك بشَّر الله السماء فزينت وتضوعت مسكاً بك الغبراء[٤].

ويسترسل الشاعر في رسم الصورة ، بعد أن بيَّن مكانته(ﷺ) في السماء والأرض يوضح مكانته في قلوب أصحابه - رضوان الله عليهم - فيقول:

---

(١) يراجع: البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م ،(٢/ ٣٨٠).

(٢) يراجع: فى الشعر الإسلامي والأموي د/ عبدالقادر القط ، دار المعارف، بدون تاريخ ، ص(١٥٢).

(٣) والتضمين: هو أن يضمن الشاعر كلامه(شيئاً من مشهور شعر الغير) يراجع:جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص(٣٤٠).

(٤) يراجع: الشوقيات ، تعليق د/ يحيى الشامى ، ط١، بيروت، ١٩٩٦م(١/٣٠- ٣١) .

تَتَسَـابَقُ الأَقْمَـارُ فِـي أَفْلاَكِهَـا سَـعْياً إِلَيْـكَ وَتَحْتَمِـي بِحِمَاكَـا

وهنا بيَّن الشاعر مكانة الرسول الكريم لدى أصحابه، فهم يتسابقون في القرب منه(ﷺ) والامتثال لمنهجه وما جاء به من هدى ونور، سعياً ورغبة في رضا الله فطاعته(ﷺ) من طاعة الله وأملاً في الفوز بالجنة والنجاة من النار، واستعار الشاعر لفظ(الأقمار) للصحابة رضوان الله عليهم على سبيل الاستعارة التصريحية ، ولفظ (أَفْلاَكِهَا) ترشيح لها، ومن المعلوم أن الترشيح حقق المبالغة، وبيَّن ما عليه الصحابة من علو المكانة والمنزلة فهو مبنى على تناسى التشبيه ، وبيَّن الشاعر مدى حرص الصحابة على رضا الله ورسوله من خلال الإتيان بالفعل(تتسابق)على وزن (تتفاعل) وما تدل عليه هذه الصيغة من الحركة والتفاعل بين كافة العناصر، وبذلك عظمت الدلالة وقويت المبالغة ، وتأكدت المعاني المراده ، وفى استعارة الشاعر لفظ (الأَقْمَارُ) للصحابة رضوان الله عليهم فيها تأثر بقوله(ﷺ)« أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم»[1] وهذا بيان لفضل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومكانتهم العالية ، وجاء قوله:(سَعْياً إِلَيْكَ وَتَحْتَمِي بِحِمَاكَا) لبيان الهدف من هذا التسابق فالغرض والهدف واحد ، وهو السعي والرغبة في طاعة الله ورسوله ، وجاء التعبير بالمصدر(سعياً) النائب عن فعله والتقدير (تسعى سعياً) فحذف الفعل وأنيب المصدر منابة للتأكيد ، وهذا أدل على المعنى من الفعل لدلالته على الدوام والثبوت ، كما

(١) أخرجه الآجري في كتابه الشريعة ، كتاب الإيمان والتصديق، باب ذكر فضل جميع الصحابة ، حديث رقم (١١٦٦) ، (١٦٩٠/٤) دار الوطن ، الرياض ـ السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي.

فيه من التأكيد والاختصار أكثر مما يدل عليه الفعل ، وقد حدد الشاعر بـ(كاف الخطاب) في قوله:(إليك) تلك الغاية المحمودة التي تتمثل في الاحتماء والاعتصام بما جاء عنه(ﷺ) ففيه النجاة ، والسكينة ، والسعادة ، وهذا فيه توكيد بليغ فهو غير مشاهد إلا أنه حاضر في نفس الشاعر، وجاء الشاعر بالفعل المضارع (تحتمي) للدلالة على استمرارية هذه الحماية وتجددها حتى يرث الله الأرض ومن عليها، والمتمثلة في التمسك بالشريعة التي هي نور الحياة والطريق للجنة ، والفعل صورة واضحة ومشعة بالخير والأمل فلا قنوط ولا تراجع ولا هوان عن الامتثال بهذا الهدى ، وجاء الشاعر في قوله:(وَتَحْتَمِي بِحِمَاكَا) بصورة بيانية رائعة تمثلت في الاستعارة المكنية حيث شبه الشريعة وما جاء به رسول الله وسنته المطهرة(ﷺ) بالحصن الذي يحتمي فيه ، والسير والامتثال لمنهج الله هو الحماية والنجاة بهذا الحصن ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهى الحماية التي يسعى إليها هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم ملتصقة بحماه(ﷺ) فهي تتحقق من خلال الاختلاط والقرب من السنة وما جاءت به الشريعة الإسلامية ، ويمكن حمل هذا البيت على الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال الرسول(ﷺ) والصحابة يلتفون حوله مرتبطين به متمسكين بمنهجه بحال الشمس والأقمار تلتف حولها ساعية في أفلاكها لا تستطيع ترك مكانها فهي في نسق ونظام محدد بأمر الله ، وبذلك أدت الاستعارة التمثيلية دورها في بيان تمسك الصحابة بالرسول والتزامهم بمنهجه(وهى أبلغ أنواع المجاز إذ هي مبنية على تشبيه التمثيل ووجه الشبه فيها منتزع من متعدد لذلك كان أدق أنواع التشبيه ، وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات ، ولذلك كانت غرض البلغاء

ومحط أنظارهم) [1]، ونلاحظ أن الشاعر فصل بين الشطرين، وسر الفصل هو شبه كمال الاتصال[2]، لأن الجملة الأولى:(تَتَسَابَقُ الأَقْمَارُ فِي أَفْلاَكِهَا) قد أثارت سؤالاً (وهو لماذا كان هذا التسابق وما الغرض والدافع إليه؟) هذا السؤال تصلح الجملة الثانية:(سَعْياً إِلَيْكَ وَتَحْتَمِي بِحِمَاكَا) أن تكون جواباً عنه ، فيفصل بينهما كما يفصل بين السؤال والجواب، فلم تأت(الواو العاطفة)لما بينهما من ترابط وثيق ، ويربط الشاعر بين ما كان عليه المسلمون وبين ما صاروا إليه في الوقت الحالي فيقول:

أَيْنَ الطَرِيقُ إِلَيْكَ فِي زَمَنٍ تَنَافَسَ كُلُّ مَا فِيهِ لِمَحْوِ خُطَاكَا؟

فالشاعر يتحسر على ما أصبح فيه المسلمون من بُعدٍ عن منهج الله وكأنهم ضلوا طريقهم ، ومن ذلك من خلال الاستفهام بـ(أين) حيث خرج الاستفهام من معناه الحقيقي ، إلى معنى مجازى وهو التحسر والحزن ، فالشاعر بحكم فطرته يعلم هذا الطريق ، ولكنه أرد أن يعبر عن مشاعر الحزن والحسرة بداخله على ما آل إليه المسلمون من بُعدٍ عن منهج الله وسنة رسوله ، وقد ساعده الاستفهام على إبراز هذه المعاني ، بالإضافة إلى ما فيه من إثارة للفكر وحث للمسلمين على إتباع سنة نبيهم والالتزام بها ، وضمير الخطاب في(إليك) يكشف عن حرص الشاعر على بيان مكانة

---

(١) يراجع: البلاغة التطبيقية، مصطفى بدر زيد المطبعة الرحمانية بمصر،ط١، ١٣٤٤هـ ، ١٩٢٦م، ص(١٦٣).

(٢) كمال الاتصال: هو(لا يكون الاتصال بين الجملتين تامًا، لكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال اقتضته الجملة الأولى ، فتفصل الثانية عن الأولى كما يفصل السؤال عن الجواب)يراجع: بغية الإيضاح، (٢٩٣/١)(بتصرف).

هذا الرسول الكريم من خلال استحضاره وخطابه ، وأن الرغبة في إتباع هذا الطريق هو الوصول إليه والقرب منه(ﷺ)، ثم حدد الشاعر هذا الوقت وهذا الزمن واصفاً إياه بأنه(زمن تنافس كُلُّ مَا فِيهِ لِمَحْوِ خُطَاكَا؟) فهذا الزمن الذى ضللنا فيه الطريق هو زمن انتشرت فيه الفتن وتنافس المغرضون والطاعنون لمحو معالم سنته (ﷺ)، وفى هذا إشارة إلى بعض المحاولات الفاشلة للهجوم على نبي الرحمة(ﷺ) مثل صدور رسوم كاريكاتيرية على صفحات جريدة دنماركية عام ٢٠٠٥م محاولة منهم لإطفاء ذلك النور المحمدي ، و(خطاكا) كناية عن السنة النبوية واستخدام الشاعر لـ(ما) التي أكثر استخدامها لغير العاقل[١] فيه إشارة على تحقير هؤلاء المعاندين والطاعنين الذين يريدون محو سنته(ﷺ)فهم لا يعقلون مثلهم مثل الجمادات والأنعام التي لا تعقل ، فالتعبير بـ(ما) الموصولة وما فيها من الإيهام ورحابة الدلالة ضاعف من شدة ما يعانيه الشاعر من ألم وحزن بسبب هذه الطعون وهذا السعي وراء محو سنته الشريفة(ﷺ) ، وفتح باباً للمتلقي ليتخيل ما شاء له أن يتخيله من معاني العذاب والألم ، وأدخل الشاعر لفظ(كل) عليها لبيان استقصاء كل هؤلاء من أصحاب النفوس المريضة والذين يتنافسون لمحو هذه السنة ، فهذا التفكير لا يذهب إليه إلا من فقد عقله، فيسير في تخبط بلا وعى ، وجاء الفعل الماضي(تنافس) ليؤدي دوره في تحقق وقوع هذا التنافس بين هؤلاء

(١) يراجع: النحو الوافي ، لعباس حسن، دار المعارف ، ط١٥، (٣٥١/١).

وحرصهم الشديد على هدم هذا الدين وتشويه صورته ، ونلاحظ دلالة الفعل(تتسابق) في جانب الصحابة والصالحين من المسلمين ليعكس تجدد الصورة واستمراريتها من خلال التعبير بالمضارع ، فالامتثال لأمره(ﷺ) كان مستمراً ومتجدداً، ولكن محاولات هؤلاء المغرضين وإن وقعت فهي محاولات فاشلة سوف تنتهي ولا يكتب لها البقاء، وهذا ما دل عليه الفعل الماضي(تنافس) فمهما تعاقبت وكثرت هذه المحاولات فلا تنتهي إلا بالفشل الذريع وهذا ما وضحه الشاعر وأكده في البيت التالي فيقول:

لَكِنّهَا فِي الأَرْضِ أَصْلٌ ثَابِتٌ وَفُرُوعُهَا تَتَبَوَّأُ الأَفْلاَكَا

وهنا يصف الشريعة وما هي عليه من الثبات وعدم التزعزع رغم حقد الحاقدين بالشجرة الطيبة ، فهي المتألقة وما عداها باطل ويؤول إلى الزوال، وأكد على هذا المعنى من خلال التعبير بالجملة الخبرية فهو أمر ثابت ، ونلاحظ أن الشاعر فى أساليبه يزاوج بين الأساليب الخبرية والإنشائية ، وهذا يعكس أحاسيس الشاعر المتأججة ، ومشاعره الفوارة التي هي حبيسة بداخله ، ولم يقدر على كبتها ، وجاءت(لكنَّ) هنا لتفيد معنى الاستدراك والتأكيد ، وهو قول ابن عصفور[1] حيث جاء الشاعر ليؤكد بها على ثبات الشريعة رغم المحاولات الكثيرة للقضاء عليها ، وهنا شبه الشاعر الشريعة بالشجرة العظيمة الثابتة ، والتي امتدت جذورها فى أرض خصبة راسخة فطاب منبتها وثمرها حتى علت وتبوأت الأفلاك ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهى(فروعها) وذلك على

(١) يراجع: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ) ت د/ مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ط٦، ١٩٨٥.ص(٣٨٣).

سبيل الاستعارة المكنية، ومن المعلوم أن الاستعارة أبلغ من إجراء الكلام على حقيقته حيث تصور المعنى فى صورة حسية ويقول الإمام عبد القاهر عن فضل الاستعارة (فإنك لترى بها الجمادَ حيّاً ناطقاً، والأعجمَ فصيحاً، والأجسامَ الخُرسَ مُبينةً، والمعاني الخفيّةَ باديةً جليّةً، وإذا نظرتَ في أمر المقاييس وجدتَها ولا ناصر لها أعزُّ منها، ولا رَوْنَق لها ما لم تَزِنْها، وتجدُ التشبيهات على الجملة غير مُعْجِبَةٍ ما لم تكُنْها، إن شئت أرتك المعانيَ اللطيفةَ التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون، وإن شئتَ لطَّفتِ الأوصاف الجسمانية حتى تعود رُوحانية لا تنالها إلاّ الظنون)[١]، وهذا البيت فيه اقتباس من قول الله تعالى: ﴿□ □ □ □ □ □ □ □□ □ ى ى ي ي □﴾[٢]، ومن خلال هذا التناص نشر الشاعر عبق النور القرآني ، فيميل للاتكاء على الإشعاعات التي تحملها إيحاءات الدلالة للفظة القرآنية كما بيّن لنا مكانة هذه الشريعة وحفظ الله لها رغم الهجوم الشديد عليها ، وساعد الشاعر على توطيد هذا المعنى التنوين في (أصلٌ)،(ثابتٌ) حيث أفاد التنوين تأكيد معنى الأصالة والثبات للشريعة ، وجاء الفعل (تَتَبَوَّأُ) وما فيه من الزيادة ليدل هو الآخر على زيادة هذا التمكن وهذا الرسوخ ، وكلمة (فروعها) كناية عن كثرة العلوم المنبثقة من تلك الشريعة وتزايدها ونمائها ، ونلاحظ الطباق بين(الأصل ، والفرع) (الأرض، الأفلاك) وسر بلاغته أنه أضفى على الكلام رونقاً وبهاءً

---

(١) يراجع: أسرار البلاغة: للإمام عبد القاهر ت/محمود شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة ، ص(٤٣).

(٢) سورة إبراهيم الآية:(٢٤).

فضلاً عن تأكيده على فضل الشريعة وأنها الشجرة التى ترتوي منها الأرض كلها ، فهي أصل وما يتولد منها من العلوم فهو فرع، وهى راسخة في الأرض وعلت حتى بلغت العنان ، وبعد أن بيَّن الشاعر مكانة الشريعة بدأ يبين لنا كيف انتشرت وما هو الطريق الذي سلكته في انتشارها؟ فيقول:

خَطَرَتْ عَلَى السَّيْفِ المُشِعِّ مَحَبَّةً لِلْعَـــالَمِينَ وَقَوَّضَـــتْ أَعْـــدَاكَا

فهذا البيت توضيح وبيان للشريعة الإسلامية ومبادئها فهي لم تنتشر بالسيف وإراقة الدماء ، ولكنها نشرت بالعدل والمحبة والسماحة ، وهنا استعار الشاعر للفتوحات الإسلامية لفظ (السيف) ووصفه بأنه مشعٌّ ففيه بريق ولمعان كما كانت الفتوحات الإسلامية سبباً في انتشار الخير والسلام وعموم النور في الكون ، وظهرت هذه الشريعة وانتشرت من خلال هذه الفتوحات .

وجاء الشاعر بقوله:(مَحَبَّةً) من باب الاحتراس[1] لأن الشاعر لو اقتصر على قوله:(خطرت على السيف المُشِعِّ) ولم يذكر لفظ(محبة) لأوهم ذلك أن الشريعة انتشرت بالسيف والقوة وإراقة الدماء من أجل نشر الخوف والرهبة ، ولكن هذا الاحتراس أزال هذا الوهم وأكد على أنها ظهرت لنشر المحبة والعدل ، ونلاحظ دلالة حرف الجر(على) وما يدل من الاستعلاء ، وكأن الشريعة علت السيف وظهرت بسماحتها عليه ولم تظهر به لذا لم يعبر الشاعر بقوله:(خطرت بالسيف) ولكن قال(على السيف)

(١) الاحتراس : وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه. يراجع: الإيضاح في علوم البلاغة (٣/ ٢٠٨).

فمحبتهـا وسـماحتها علـت وتفوقـت علـى أسـلوب الشـدة ، وجـاء لفـظ (العالمين) للدلالـة على أنها كانت تدعو الجميع فهي دعوة لأهل الأرض قاطبة ، ونلاحظ التنوين في قوله:(محبةً) وما قام به من دور فاعل في التأكيد على المعاني السامية والمحبة المخلصة التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية ، ولم يكتف الشاعر ببيان ذلك فى وصف الشريعة فكما أنها دعت إلى المحبة فهى أيضا حاربت وقضت على كل من عادى هذا الدين، من خلال قوله:(وَقَوَّضَتْ أَعْدَاكَا) وجاء الشاعر بالفعل(قَوَّضَ) للدلالة على المبالغة في بيان هذه القوة التي يواجه بها الإسلام أعدائه فهي لا تمر بمراحل في القضاء ، وهذا ما تدور حوله مادة هذا الفعل وهى(النقض من غير هدم) [1]كما أنها كناية عن تفرق الأعداء وذعرهم أمام هذه القوة التي تحركها الدعوة الصادقة ، وبرع الشاعر عندما بين موقف الشريعة ودعوتها للتسامح بين المسلمين وموقفها من أعداء الإسلام ، وهذا ما ذكره قول الله تعالى:﴿ٱ ب ببِ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ﴾[2]ويسترسل الشاعر فى بيان أفضليته(ﷺ) ، وبيان أثره على هذا الوجود فيقول:

فَـإِذَا الْحَيَـاةُ كَمَـا أَرَدْتَ حَدِيقَـةً   وَثِمَارُهَـا غَـرْسٌ سَـقَتْهُ يَـدَاكَا
وَإِذَا الْعُقُـولُ كَمَـا بَنَيْـتَ مَنَـارَةً   وَإِذَا النّفُـوسُ كَمَـا هَوِيـتَ فِـدَاكَا
تَمْضِـي الْقُـرُونُ وَأَنْـتَ أَنْـتَ مُحَمَّـدٌ   تَهَـبُ الْوُجُـودَ المُـرَّ فَـيْضَ شَـذَاكَا
صَنَعُوا مِـنَ الصَّـخْرِ الأَصَمِّ وُجُـودَهُمْ   فَغَـدَوا دُمًـا لاَ تَسْـتَطِيعُ حِرَاكَـا

---

(١) اللسان مادة (قوضَّ).
(٢) سورة الفتح: الآية:(٢٩).

وَرَفَضْتَ حَتَّى أَنْ نَرَى لَكَ صُورَةً فَبَقَيْتَ وَالْقُرْآنُ سِرٌّ بَقَاكَا

مَا الْخُلْدُ أَنْ تَبْقَى أَمَامَ عُيُونِنَا لَكِنَّهُ أَنْ لاَ نُحِبَّ سِوَاكَا

وَمِنَ الْمَحَبَّةِ أَنْ تَظَلَّ قُلُوبُنَا بِرِضَاكَ مُثْمَرَةً وَعِطْرُ نَدَاكَا

يَا سَيِّدِي والشَّمْسُ بَعْضُ ضِيَاكَا هَلْ تُطْفِئُ الرِّيحُ الْعَقِيمُ سَنَاكَا؟

تَتَسَابَقُ الأَقْمَارُ فِي أَفْلاَكِهَا سَعْياً إِلَيْكَ وَتَحْتَمِي بِحِمَاكَا

وهنا جاء الشاعر بـ(إذا) الفجائية للكشف عن التغيير المفاجئ الذي حلَّ بالكون بعد هذه البعثة النبوية ، وجاءت(الفاء) لبيان سرعة هذا التحول بعد أن انتشر الإسلام ومبادئه السامية ، و أكد على هذا المعنى التشبيه البليغ في(الحياة حديقة) حيث وضَّح كيف أصبحت الحياة التي كانت تعجُّ بالفواحش والنقائص الجاهلية أصبحت كالحديقة الغناء تشع حركة بناءة وإيجابية فعَّالة، و بذلك تكاتف الأسلوب الفجائي مع التشبيه البليغ فى أداء المعنى ، وجاء الشاعر بالجملة المعترضة (كَمَا أَرَدْتَ) لتعظيم الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ولبيان حرصه على تحويل الحياة وخروج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الحق ، ثم بيَّن مفصلاً ما تشتمل عليه هذه الحديقة فيقول: (وَثِمَارُهَا غَرْسٌ سَقَتْهُ يَدَاكَا) ، وهنا استعار الإطلاق الحسن لمبادئ الشريعة لفظ الثمار على سبيل الاستعارة التصريحية وقوله (غَرْسٌ ، سَقَتْهُ) ترشيح للاستعارة بالإضافة إلى مراعاة النظير(١) من خلال الجمع بين الألفاظ (حديقة ، غرس ، ثمار، سقته) ومعلوم ما فيه من الروعة وحسن التصوير الموسيقى، فهو(يضفى التناسق والتجانس والالتئام ،

(١) ومراعاة النظير: هو أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه كقوله تعالى:(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) الرحمن:(٥). يراجع: بغية الإيضاح:(٤/٥٨٢-٥٨٣).

وهذا يدل دلالة واضحة وظاهرة على فرط حساسية الشاعر بالألفاظ والأرحام التي بين هذه الألفاظ ، وكأنها عنده جماعات وأسر يدعو بعضها بعضاً تتنادى وتتلاقى متجانسة متآنسة بشكل ملحوظ)[1]وكلها ألفاظ متوائمة ومتآخية قربت المعنى وزادت في رونقه، والأجمل في هذا الغرس الذي أينعت ثماره أنه(ﷺ)تولاه بالحفظ والعناية ، ودل على ذلك الجملة الفعلية (سقته يداكا) فالفعل الماضي أكد وحقق وقوع هذه الرعاية ، ولفظ(اليد) كناية عن التعهد والعناية والموالاة فهي رمز للعطاء ، وجاء الوصل بين الشطرين لاتفاق الجملتين في الخبرية لفظَ ومعنى ، وعطف الجملة الثانية على الأولى لإبراز مدى طيب هذا الثمر وما تشتمل عليه هذه الحديقة ، وتنكير لفظ (غرس) دلَّ على تعظيم هذا الغرس ، وحتى يتمكن الشاعر من وصفه بقوله:(سقته يداكا) زيادة في هذا التعظيم، والبيت كله كناية عن حرص الرسول(ﷺ)الشديد على انتشار السماحة والرخاء والعدل والمحبة ، وأن ما غرسه لنا هو الحق والعدل، ومن أخذ به فلا يضل ، ومن المعلوم أن الكناية (تحمل في طواياها نفحة من نفحات المبالغة التي تضفى على المعنى حسناً وبهاءً ، وتزيد الصورة وضوحاً وجلاءً)[2] ، وينتقل الشاعر بنفس التركيب بـ(إذا) الفجائية ليبين أيضاَ أثر الإسلام على العقول والنفوس فهي لم تغيِّر في الظاهر فقط ، ولكنها غيرت الباطن أيضا ، فهى بنت العقول من جديد وأخرجتها من ظلام الجهل إلى نور الحق ،

---

(١) يراجع: دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ، ط٤، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص(٣٤٦).

(٢) يراجع: البلاغة العربية في ثوبها الجديد(٢/ ١٦٨) ، د/ بكر شيخ أمين ط٣، ١٩٩٣م ، دار العلم للملايين .

وارتقت بها وساعدت على نضجها ، وتحررها من الموروث الباطل التي كانت عليه ، ومجيء (إذا) الفجائية وطَّد المعنى وبيَّن كيف كان تحرر هذه العقول من موروثها الباطل بمثابة المفاجأة التي أذهلت الجميع لأن بناء العقول من أصعب أنواع البناء ، والجملة الاعتراضية(كما بنيت) وما فيها من فعل ماضٍ دلت على فضل الرسول في وضع اللبنات الأولى لتحرير العقل من أوهام وجهالات الكفر ، وفى التشبيه البليغ (العقول بالمنار) فيه دلالة على بيان الاهتمام بهذه العقول ، وتعهدها حتى صارت كالمنارة السامقة في السماء يتطلع إليها الجميع لمكانتها وأهميتها في التكاليف والحياة ومكارم الأخلاق ، وحسن البناء دلالة على براعة الباني ، أنه نبينا العظيم (ﷺ) ، ونلاحظ أنَّ المشبه وهو(العقول) جمع ، والمشبه به (المنارة) وهو مفرد وهذا فيه دلاله على أن الحق الذي يهتدي به واحد لا يتعدد ، ويكرر الشاعر(إذا) الفجائية للمرة الثالثة ، وهذا فيه إصرار وتأكيد على أثر البعثة المحمدية أيضاً على النفوس ، ونلاحظ تدرج الشاعر حيث ذكر الحياة أولاً بكل ما فيها ثم العقول ثم النفوس ، وقدم العقول على النفوس لأهميتها ، وبيان أنها من الأمور الشاقة التى تتطلب جهداً متواصلاً ، ويكرر أيضا أسلوب الاعتراض ولكن عبر في جانب النفوس بما يناسبها فقال:(كما هوَيت) فكانت هذه رغبة الرسول وهو تبادل المحبة والوفاء حتى بلغت هذه المحبة أقصاها فصارت كل النفوس فداءً لك يا رسول الله، وقد وفق الشاعر في استخدام لفظ(النفس) دون الجسد ، ويراد بها الروح لأنها هي التي تدفع بصاحبها إلى جادة الصواب والسير نحو مكارم الأخلاق ، فالحب كان بدافع النفس والروح ليس بالجسد فقط.

ويسترسل الشاعر في بيان فضائله(ﷺ)ويذكر لنا فضيلة أخرى

عبر حركة التاريخ ومسيرة الأيام التى لا تتوقف فيقول:(تَمْضِي الْقُرُونُ وَأَنْتَ أَنْتَ مُحَمَّدٌ) وهنا وضَّح الشاعر قدر النبي العظيم ومكانته في القلوب ، فعلى الرغم من مرور الأيام والقرون ومُضيها وتبدلها إلا أن صفاته(ﷺ) ثابتة وراسخة لا تغيير فيها ولا تبديل لا تتأثر فهي صالحة لكل زمان ومكان ، وأكد الشاعر هذه المعاني من خلال التعبير عنها بالأسلوب الخبري الذي أفاد تقرير المعنى وتأكيده، وما أفاده الفعل المضارع(تَمْضِي) من الاستمرارية والتجدد للزمان ، كما أدى التكرار لضمير المخاطب في قوله:(وَأَنْتَ أَنْتَ مُحَمَّدٌ) دوره في التأكيد وبيان الأصالة والثبات والثقة في كل ما جاء به النبي(ﷺ) مهما تعاقبت الأيام ، ويفيد أيضا القصر والتخصيص من خلال تعريف الطرفين، وهو قصر صفة على موصوف ، حيث قصر صفة المحامد على النبي الكريم(ﷺ) ، وذلك إذا حملت كلمة (محمد) على أنها اسم مفعول ويأتي في الشطر الثاني ليوضح أنه من محامده أيضاً (ﷺ)(يهب الوجود المُرَّ فيض شذاه) ، وهنا يحكى الشاعر أمراً لا خلاف فيه وثابت لذا عبر بالأسلوب الخبري ، وفصل بين الشطرين للتوسط بين الكمالين لما بينهما من اتفاق في الخبرية لفظاً ومعنى ، وفى قوله:(الوجود المُرَّ) استعارة تصريحية أصلية[1]حيث استعار الشاعر لفظ(المُرَّ) للقبيح ، فكشفت هذه الاستعارة عن مرارة الوجود وجفاء القطيعة ، ونار الغضب ، فجسدته وبالغت فى وصف قبحه ، ومع ذلك يهب الرسول الوجود كل شيء

(١) والاستعارة التصريحية التي تحدث عنها الإمام عبد القاهر عند حديثه عن الاستعارة المفيدة هي(أن تنقل اللفظ عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت ومعلوم تجريه عليه ، وتجعله متناولاً له تناول الصفة مثلاً للموصوف٠٠) يراجع:أسرار البلاغة للإمام عبدالقاهر الجرجانى(٤٤) علق عليه / محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة.

طيب فلا يقابل الإساءة بالإساءة ، وإنما يقابلها بالحسنة والمعروف ، ويحول عدوه اللدود إلى صديق حميد ممتثلاً لقوله تعالى:﴿ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ گ گ)(١)، وبذلك أظهرت الاستعارة(حسن التصوير وانتقاء الألفاظ والإيجاز هو السحر الحلال وقطب البلاغة الذي تدور عليه)(٢)، ويمكن القول بأنه في إسناد المرارة للوجود مجاز عقلي (٣) علاقته المكانية ، فالوجود ليس هو المتصف بالمرارة، ولكنه مكان يوجد فيه الشيء المر المتمثل في القطيعة، والصفات الذميمة ، ويرجع الحُسن في هذا المجاز إلى أنه(تخيل أن المكان يقع منه الحدث ، وفيه من المبالغة ، وقوة التأثير ما ليس في غيره)(٤)ومما يدل على براعة الشاعر في اختيار الألفاظ أنه عبر في جانب الرسول بلفظ (الهبة) دون الإعطاء أو الهدية أو المنحة لأن الهبة تؤول للتملك دون غيرها من هذا الألفاظ فهي تحتمل الرد ولا تؤول للتملك(٥)، فالرسول(ﷺ) يعطى ولا ينتظر

---

(١) سورة فصلت: الآية(٣٤).

(٢) يراجع: الاستعارة نشأتها وتطورها وأثرها في الأساليب العربية ، د/ محمود شيخون(١١٠) ، ط٢ ،١٩٨٤م ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة.

(٣) المجاز العقلي : هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول ، وعرفه السكاكي بأنه الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأول ، إفادة للخلاف لا بواسطة وضع ، كقولك (أنبت الربيع البقل) بغية الإيضاح(١/ ٥٣، ٥٧).

(٤) يراجع: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية د/ محمد محمد أبو موسى(٤٥١) .

(٥) يراجع: الفروق اللغوية للعسكري (١/١٦٧).

المقابل ، وهى هبة مستمرة غير منقطعة من خلال التعبير بالفعل المضارع (يهب)، وعبر الشاعر أيضاً بلفظ(فيض) للدلالة على كثرة عطائه(ﷺ)لأن الفيض هو ما سال وكثر(١)، وجاء في قوله:(فيض شذاكا) استعارة مكنية حيث شبه الشاعر عطاء الرسول وأخلاقه بالبحر في الاتساع وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهى(الفيض)، ويمكن حملها على الاستعارة الأصلية حيث استعارة لفظ (الشذا) لأخلاق الرسول الحميدة ، وتتوالى الفضائل لحضرة الرسول الكريم فيقول الشاعر:

صَنَعُوا مِنَ الصَّخْرِ الأَصَمِّ وُجُودَهُمْ فَغَدَوا دُمىً لاَ تَسْتَطِيعُ حِرَاكَا

يبين لنا الشاعر في هذا البيت الفرق بين وجود الرسول (ﷺ) في قلوب المؤمنين فهو وجود سرمدي مستمر بسيرته وسنته وفضائله(ﷺ) وبما جاء به من آيات بينات وهو القرآن الكريم ، وبين ما يفعله القواد والزعماء للحرص على بقائهم من نحت تماثيل لهم تمثِّل صورتهم ، فهم صنعوا وجودهم بأنفسهم من حجارة لا تضر ولا تنفع ، فهو وجود مادي زائف لا حياة فيه ولا حركة مثله مثل الصخر الذي صنع منه ، وجاء قوله:(صَنَعُوا مِنَ الصَّخْرِ الأَصَمِّ وُجُودَهُمْ) كناية عن شدة حرص هؤلاء القواد ورغبتهم القوية في البقاء والخلود وحب الإطراء ، ولكن الشاعر جاء بالشطر الثاني:(فغدوا دمى) معطوفاً على الشطر الأول بـ(الفاء) لبيان سرعة إخفاقهم في تحقيق ما يريدونه من البقاء والخلود، فخاب أملهم وضل سعيهم، وجاء الشاعر في الشطر الثاني بتشبيه بليغ ليجسد لنا هذا المعنى في صورة حسية ، حيث شبه هذه التماثيل بالدمى، فهو شيء حقير

(١) اللسان مادة (فيض).

عاجز عن الحركة ، وقد قام هذا التشبيه بدوره في التقليل والتحقير من شأن هؤلاء، وجاء في قوله:(لا تستطيع حراكا) بإيغال[1]، وهذا إطناب أفاد قوة المبالغة في التشبيه السابق وتحقيقه، كما فيه كشف عن عجزهم فهم لا يستطيعون الحركة وهذه أيسر الأشياء، فهم عن غيرها أعجز ، ويبين لنا الشاعر العكس في جانب الرسول فهو لم يصنع لنفسه الخلود والبقاء حتى تُتَّخذ صورة له ، ولكن كتب الله له البقاء والخلود في القلوب والعقول ، وإتباع سنته حباً ورغبة، وليس في الصورة فيقول:

وَرَفَضْتَ حَتَّى أَنْ نَرَى لَكَ صُورَةً فَبَقَيْتَ وَالْقُرْآنُ سِرٌّ بَقَاكَا

وهنا قدم الشاعر الجار والمجرور في(لك صورة) لبيان اختصاصه(ﷺ) بهذا الرفض فنهى عن إطرائه ، واتخاذ صورة له تجنباً للفتن ، وهذه كناية عن إنكار الذات ، وآثر الشاعر الأسلوب الخبري للدلالة على أن النبي(ﷺ) قد وضع قواعد التوحيد الخالصة منذ فجر الرسالة ، فكان أول من اتبع وفعل ما قاله ، فنهى عن كل ما يعبد من دون الله ، والمبالغة في المدح والإطراء مع أنه أولى الناس بذلك ، ورغم ذلك كتب الله له ولسيرته الخلود ، في القلوب ، ونكر الشاعر لفظ (صورة) من أجل التقليل وبيان أنها أقل الأشياء للذكرى، ولكن مع ذلك نهى عنها الرسول(ﷺ)، وقدم (لك) على (صورة) لبيان الاختصاص له(ﷺ) ، وهذا فيه إشارة على نهييه(ﷺ) على تخليده حتى ولو بأقل الأشياء ، ويبين الشاعر من خلال الجملة الخبرية (فبقيتَ والقرآن سرٌّ بقاكا) أن هذا البقاء

(١)الإيغال: هو ختم الكلام شعراً أو نثراً بما يفيد فائدة يتم المعنى بدونها. يراجع: علم المعاني، د/ بسيوني فيود(٢٠٦).

لم يكن للحسب والمال والجاه ، وإنما هو سره القرآن ، وهنا ربط الشاعر بين الرسول والقرآن دلالة للرابط القوى بينه وبين القرآن فهو منزل على قلبه(ﷺ) وأول من اتبع تعاليمه ، كما أنَّ فيه إشارة لأخلاقه (ﷺ) والتي كانت سبباً في بقاء سيرته وسنته ، فهي كانت امتثالاً لآيات القرآن تصديقاً لقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها «كان (ﷺ) خلقه القرآن»[1] ، كما أدى الفعل الماضي (فبقيتَ) دوره فى تحقيق هذا البقاء والتأكيد عليه ، وجاء معطوفاً بـ(الفاء) على الشطر الأول لبيان سرعة تحقق هذا الخلود المعنوي، والحسي وتعقيبه لرفض الرسول(ﷺ) بأن تتخذ له هذه الصورة ، وكأن الرفض والقرآن هما سر البقاء ، ثم يأتي الشاعر ليؤكد ويوضح المعنى السابق للخلود فيقول:

مَا الْخُلْدُ أَنْ تَبْقَى أَمَامَ عُيُونِنَا لَكِنَّهُ أَنْ لاَ نُحِبَّ سِوَاكَا

وهذا بيان وتفصيل للبيت السابق، حيث يوضح الشاعر فيه المراد بالخلود فهو ليس خلود بالجسد والروح ، ولكنه خلود بالقلب والعقل، وهذا فيه تأكيد للمعنى بما يشبه نفيه ، وجاء الشاعر بأسلوب القصر بطريق العطف بـ(لكن) في الشطر الثاني ليؤكد على معنى الخلود ، وأنه هو التمسك به(ﷺ)، وحبه والامتثال لأوامره ، وهذا الطريق للقصر من أقوى طرقه حيث يصرح فيه بالمثبت والمنفى معا ، وهنا قصر صفة الخلود على حبه(ﷺ) والسير على سنته ، وأكد الشاعر المعنى من خلال طريق آخر

(١) أخرجه البغوي في كتابه شرح السنة ، كتاب الفضائل ، باب حسن خلقه (صلى الله عليه وسلم) حديث رقم (٣٤٩٤)،(٧٦/١٣) شرح السنة ، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت،ط٢-١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش.

للقصر وهو النفي والاستثناء في قوله:(لاَ نُحِبَّ سِوَاكَا) ، حيث قصر صفة الحب الخالد والصادق عليه(ﷺ) والنفي بـ(لا) فيه دلالة قوية على عدم تعلق المسلمين بغير الرسول الكريم ، وإتيان الشاعر بهذين الأسلوبين من القصر مع اختلاف الطريق فيه دلالة قوية على التأكيد على معنى المدح والفخر به(عليه الصلاة والسلام)، وبعد أن ذكر الشاعر حب الرسول في هذا البيت أراد أن يوضح ويؤكد على مفهوم المحبة بالنسبة للرسول (ﷺ) فهي ليست محبة بالأقوال فقط ولكنها بالأفعال فيقول:

وَمِنَ الْمَحَبَّةِ أَنْ تَظَلَّ قُلُوبُنَا بِرِضَاكَ مُثْمَرَةً وَعِطْرُ نَدَاكَا

فهي محبة مرتبطة بالقلوب ، فالقلوب هي مرتع الحب الخالص ، وهى التي ينظر إليها الله تعالى ، لذا جاء الشاعر بالجملة الفعلية (تَظَلَّ قُلُوبُنَا) لتؤكد على استمرارية هذا الحب وتجدده في القلوب مهما تعاقبت الأيام والسنون، وجاءت(من) هنا للتبعيض لأن شعب الإيمان المؤدية إلى الطريق المستقيم الذي يتشبث به الشاعر كثيرة فهي لا تقتصر على رضا القلوب فحسب ، ولكن المحبة بعض منها ، وفى قوله:(قُلُوبُنَا بِرِضَاكَ مُثْمَرَةً) استعارة مكنية حيث شبه القلوب بالشجرة المثمرة ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهى(مثمرة) وهنا أفادت الاستعارة تجسيد القلوب في صورة مشاهدة لتوضيح المعنى ، ولبيان أهمية الرضا والقناعة الداخلية للمسلم بما جاء به الرسول الكريم ، وجاء الشاعر في قوله:(وَعِطْرُ نَدَاكَا) باستعارة تصريحية حيث استعار لفظ (الندى) لعطاء الرسول(ﷺ) وعموم خيره على البشرية ، فالندى رمز الخير والبركة ، وجمع الشاعر بين الليونة ورمز الخير والرائحة الطيبة حيث جعل للندى رائحة طيبة ، فجاء بكلمة(عطر) فكما أن الرائحة الطيبة تفوح وتنتشر

كذلك عطاء الرسول يعم الجميع القاصي والداني، و يختم الشاعر فكرته بقوله:

يَـا سَـيِّدِي والشَّـمْسُ بَعْـضُ ضِـيَاكَا هَـلْ تُطْفِـئُ الـرِّيحُ الْعَقِـيمُ سَـنَاكَا؟

تَتَسَـــابَقُ الأَقْمَـــارُ فِـــي أَفْلاَكِهَـــا سَـعْياً ً إِلَيْـكَ وَتَحْتَمِـي بِحِمَاكَـا

وهذان البيتان سبق التعرض لهما ، وسبق أن كررهما الشاعر في مطلع القصيدة ،وقد كرر الشاعر نفس البيتين في نهاية هذه الفكرة ، وبذلك كانت ظاهرة التكرار لدى الشاعر ظاهرة بوضوح في هذه القصيدة ، (فتكرار لفظ ما أو عبارة ما يوحى بشكل أولى بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره ، ومن ثم فهو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظة لأخرى)(١)، وشاعرنا كان لديه موهبة قادرة على توزيع هذه الظاهرة في أماكنها توزيعاً عادلاً توازنت فيه الهندسة العاطفية والهندسة الأسلوبية ، فالقصيدة تقوم على مدح الرسول(ﷺ) والدفاع عنه ، وعاطفة الحب النبوي مسيطرة على الشاعر سارية في كيانه فهي في كل حرف ، وكلمة ومقطع لذا يخاطبه(ﷺ) مادحاً إياه مقراً بمكانته وفضله بين الحين والآخر، ولكن تكرارهما فى نهاية هذه الفكرة للربط بينها وبين الفكرة التالية ، فالفكرة الأولى بيان لفضائله(ﷺ) والفكرة الثانية لإنكار الرسوم المسيئة للرسول الكريم ، والبيتان يتضمنان نفى وجود أى أحد يستطيع إطفاء هذا النور الوهاج ، فكانت بمثابة المقدمة للفكرة الثانية التى يتحدث فيها عن محاولات الطاعنين للنيل منه(ﷺ)، وهذا من حسن

(١) يراجع: بناء القصيدة العربية الحديثة ، د/ على عشرى زايد، ص(٥٨) مكتبة الآداب ، ط٥ ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

التخلص من فكرة إلى فكرة ، وضابطه:(أن ينتقل الشاعر أو الناثر من فنّ من فنون الكلام إلى فنٍّ آخرَ، أو من موضوع إلى موضوع آخرَ بأسلُوبٍ حسَنٍ مستطاب، غير مستنكر في النفوس ولا في الألباب)[1]، وهذا من البلاغة بمكان .

المبحث الثاني

دفاع واستنكار(١٧-٢٧)

يَـا وَاهِـبَ الأَكْـوَانِ خَيْـرَ رِسَـالَةٍ ... إِنّـا نَعِـيشُ عَلَـى صَـدَى نَجْوَاكَـا

السَّـارِقُونَ النّـورَ مِـنْ أَرْوَاحِنَـا ... ظَنّـوا التّـَقَـدُّمَ مِـدْفَعاً فَتَّاكَـا

هَبُّـوا جِيَاعـاً وَالْعَقِيـدَةُ صَـيْدُهُمْ ... هَـلْ يَنْصُـرُ الـدَيَّانُ مَـنْ عَادَاكَـا؟

الْغَـارِقُونَ بِتِـيهِهِم وَضَـلاَلِهِمْ ... فَقَـدُوا أَمَـامَ جَمَالِـكَ الإِدْرَاكَـا!

ظَنّـوا رُسُـومَهُم تُشَـوِّهُ شِـرْعَةً ... اللهُ أَيَّـدَهَا وَصَـانَ خُطَاكَـا!

وَالْمُؤْمِنُـونَ الْغَاضِـبُونَ تَـدَافَعُوا ... شُـهُباً تُبِيـدُ الآثِـمَ الأَفَّاكَـا!

وَلَيَنْصُـرَنَّ اللهُ كُـلَّ مُوَحِّـدٍ ... وَيَصُـبُّ فَـوْقَ الْمُعْتَـدِينَ هَلاَكَـا

أَنْـتَ الْحَبِيـبُ الْمُصْـطَفَى وَالْمُجْتَبَـى ... وَاللهُ يَنْصُـرُ كُـلَّ مَـنْ وَالاَكَـا

---

(١) يراجع: البلاغة العربية للدمشقي(٥٦١/٢).

قَـدْ تُمْهِـلُ الأَقْـدَارُ غِـراً حَاقِـداً   لَكِنّهَـــا لاَ تَنْصُـــرُ الإِشْـــرَاكَا!
إِنّـا نَسِيرُ عَلَـى السّيُوفِ إِلَيْكَ فِـي   عَصْـرٍ يُحَـرِّقُ مَـنْ يَـرُومُ هُـدَاكَا!
نَـارُ الْخَلِيـلِ نَخُـوضُ فِـي أَفْيَائِهَـا   فِــي كُــلِّ يَــوْمٍ وَالنّجَــاةُ لِقَاكَــا!

فالشاعر يتحدث في هذه الفكرة عن المعتدين على ذات الرسول(ﷺ) هادفين لتشويه الدين الإسلامي ، ولكن الشاعر يستهل فكرته بندائه(ﷺ) فيقول:(يَا وَاهِبَ الأَكْوَانِ) وهو نداء تعظيم وإجلال للرسول الكريم ، والمنادى جاء بصيغة اسم الفاعل(واهب) وهذا فيه دلالة على ثبوت هذه الهبة واستمرارها ، واسم الفاعل يعمل على(الإبانة عما صاحب الصورة من انفعال مسيطر متمثل ، ويحفز مخيلة المتلقي على تمثل طبيعة المشهد المعروض)(١) وهو كناية عن موصوف وهو النبي الكريم، وقوله:(خير رسالة) كناية عن موصوف أيضاً وهو الإسلام، ولاشك أن الرسالة هبة من الله وعطية ، تعصم المرء من الزلل والانحطاط ، ثم يأتي الشاعر بأسلوب خبري مؤكَّد(إِنَّا نَعِيشُ عَلَى صَدَى نَجْوَاكَا) ، حيث جاءت(إنَّ) للتأكيد على أننا المسلمون نعيش على صدى سنته ودعائه(ﷺ) ، وجاء الفعل المضارع (نعيش) المشع بنور العيش في ظل هذه الرسالة وتجدده واستمراره ، وقد دلَّ لفظ (الصدى) على معنى الترديد والتكرار من غير تحريف ولا تبديل لسنته(ﷺ) ،فالصدى ما يجيبك من صوت الجبل ونحوه بمثل صوتك(٢)، فالشاعر أراد أن يدلل من خلال هذا اللفظ على أننا نعيش

(١) يراجع: في صحبة النص، د/ طارق شلبي دار البراق ، القاهرة ، ص(٩٩)بتصرف.
(٢)اللسان مادة (صدى).

على صوت سنته ودعائه(ﷺ)، وفى قوله:(صَدَى نَجْوَاكَا) تشبيه قائم على إضافة المشبه به للمشبه، حيث شبه دعاء الرسول ودعوته بالصدى وهذا يؤكد على أن عيشنا في هذه الحياة قائم على ترديد هذا الصدى .

ثم شرع الشاعر في الحديث عن هؤلاء المعتدين الطاعنين ، فيصفهم بقوله:

(السَّارِقُونَ النُّورَ مِنْ أَرْوَاحِنَا) وهنا أتى بصيغة (اسم الفاعل) المجموع ، وسلطه على النور من أرواح المؤمنين للدلالة على تحقير هؤلاء والتقليل من شأنهم ، ولفظ (النور) كناية عن الهدى النبوي ، ومن المعلوم أن (الوصف باسم الفاعل يَقْتضي الاسمُ ثُبوتَ الصفةِ وحُصولها من غيرِ أن يكونَ هناك مُزاولةٌ وتَزْجيةُ فعلٍ، ومعنىً يَحْدُث شيئاً فشيئاً[1]وخص الشاعر السرقة من(الأروح) لأنها هي التي تحرك الأجساد ومناط الهمة والدافع إلى خير العمل ، وكون هذا النور المتمثل فى الرسول الكريم متعلقاً بالأرواح فهذه كناية عن مكانة الرسول العالية وتعلق روح كل مسلم به، وفى (السَّارِقُونَ) استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الشاعر اعتداء هؤلاء الطاعنين وتنغيصهم على المؤمنين بأفعالهم المشينة بالسرقة ، ثم استعار السرقة لهذا الاعتداء وهذا التنغيص ، ثم اشتق من السرقة السارقون بمعنى المعتدون على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وتكمن فائدة المجاز في أنه(يكشف عن الحقائق الداخلية، ويعبر عن المعاني الوجدانية

(١) يراجع: دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ت/ محمود شاكر،ط٣-١٩٩٢م، ص(١٧٥).

بصورة حسية بعيداً عن الأسلوب المباشر) [1]وجاء الشاعر بالشطر الثاني:(ظَنُّوا التّـَقَدُّمَ مِدْفَعاً فَتَّاكَا) وقد فصل الشاعر بين الشطرين لما بينهما من ترابط ، والسر في الفصل هو شبه كمال الاتصال فالشطر الأول: (السَّارِقُونَ النُّورَ مِنْ أَرْوَاحِنَا) أثار سؤالا ، وهو كيف فعلوا هؤلاء ذلك؟ فكانت الجملة:(ظَنُّوا التّـَقَدُّمَ مِدْفَعاً فَتَّاكَا) تصلح لأن تكون جواباً عنها، ففصل بينهما كما يفصل بين السؤال والجواب، وتكمن بلاغة هذا الأسلوب في (أن الجملة الأولى تثير في النفس خواطر وهواتف ، فتأتى الثانية مجيبة عن هذه الخوالج ، وكأن بذرة الجملة الثانية مضمرة في الجملة الأولى ، وهكذا يتوالد الكلام وتتناسل الجمل ، ثم إنَّ في طي هذه الهواتف وترك الإفصاح عنها ضرباً من وجازة الكلام ، واختصاره ودمجه ، واكتنازه حتى انعكست في تحريك السامع واستثارة حسه)[2]، وهنا جاء الشاعر بتشبيه بليغ في قوله:(التّـَقَدُّمَ مِدْفَعاً) حيث شبه التقدم بالمدفع الذي هو من أدوات القتال والحروب كما يظن هؤلاء ، وقد حذفت الأداة مبالغة في التشبيه وبيان النية الخبيثة لهؤلاء واستخدامهم التقدم فيما يضر البشرية وليس فيما ينفعها، وتكمن بلاغة هذا التشبيه في أنه (فيه يتسع ميدان التخيل أمام العقل وتتضاعف المبالغة لأن حذف أداة التشبيه أفاد أن المشبه عين المشبه به إدعاءً وحذف وجه الشبه يجعل النفس يذهب كل

(١) يراجع: التصوير الفني في شعر العميان ، د/ جهاد رضا ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠١١م ، ص(٦٣) (بتصرف) .

(٢) يراجع: دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د/ محمد أبو موسى ص(٣٠٨)،(بتصرف). ص(٣٠٨)،(بتصرف).

مذهب في تقدير الوجه)[1]وجاء قوله:(فَتَّاكَا) إيغالاً وهذا إطناب أفاد قوة المبالغة في التشبيه السابق وتحقيقه، والبيت كناية عن أهداف هؤلاء الطاعنين وحرصهم على تشويه الدين الإسلامي من خلال تلك الرسوم المسيئة لحضرة النبي الكريم، والتي تعد من نتائج تقدمهم ، فهو تقدم يستخدم في محاربة العقائد وهى كناية مبنية على المجاز ، ويسترسل الشاعر فى تحقيرهم وذمهم فيصفهم بقوله:

هَبُّوا جِيَاعاً وَالْعَقِيدَةُ صَيْدُهُمْ هَلْ يَنْصُرُ الدَيَّانُ مَنْ عَادَاكَا؟

الْغَارِقُونَ بِتِيهِهِم وَضَلاَلِهِمْ فَقَدُوا أَمَامَ جَمَالِكَ الإِدْرَاكَا!

ظَنّوا رُسُومَهُم تُشَوِّهُ شِرْعَةً اللهُ أَيَّدَهَا وَصَانَ خُطَاكَا!

سبق أن وصفهم الشاعر بالسرقة ، وهنا يصفهم بالذئاب من خلال قوله:

(هَبُّوا جِيَاعاً وَالْعَقِيدَةُ صَيْدُهُمْ) حيث استعار لهم لفظ (جِيَاعاً) فهم كالذئاب الضارية على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، والتي تتفنن في المكر والخداع للنيل من فريستها ، وقوله:(صَيْدُهُمْ) ترشيح للاستعارة ، ودعَّم الشاعر هذه الصورة البيانية بصورة بيانية أخرى من خلال التشبيه البليغ في(وَالْعَقِيدَةُ صَيْدُهُمْ) حيث شبه العقيدة الإسلامية بالصيد فهي مستهدفة من هؤلاء الطاعنين ، لذا جاءت معرفة ب(أل) التي للعهد ، ونلاحظ الحركة في هذا التشبيه الظاهرة من خلال استخدام الشاعر للفعل(هبوا) وهو فعل يوحى بالحركة والنشاط بعد السكون مع السرعة والقوة المفاجئة ، فزاد هذا اللفظ من تشبيههم بالذئاب دقة وسحراً ،

(١) يراجع : دراسات بلاغية(٨٦) د/ بسيوني فيود.

فاشتمل على حركة الذئب عندما يرى فريسته ، كما يكشف عن دقة الشاعر في استخدام الألفاظ ربطه بين(الجوع) و(الصيد) لإيضاح مقصدهم الخبيث حيث جعلوا صيدهم عقيدة سماوية صادقة جاءت لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ويوضح هذا المعنى هو وجود الطباق الخفي بين(جِيَاعاً) وَ(صَيْدُهُمْ) فالجوع لا يقابل الصيد ، ولكن لما كان الصيد يستلزم الشبع صح أن يقابل الجوع ، والطباق الخفي سر بلاغته أنه يضفى على الكلام رونقاً وبهاءً ، وهذا النوع من الطباق لا يدرك التنافي بين طرفيه إلا بعد فكر وروية ، وهذا يتفق مع مكر هؤلاء وخبثهم فهو خفي لا يدرك إلا بعد روية ، ويأتي الشاعر في الشطر ليصدمهم بهذا الأسلوب الإنشائي الذي يعكس انفعال الشاعر فيقول:(هَلْ يَنْصُرُ الدَيَّانُ مَنْ عَادَاكَا؟) وهذا استفهام خرج لمعنى النفي فالمعنى لا ينصر الديان من عاداك يا رسول الله ويا خير البشر ، ودخول(هل) على المضارع تخلصه للاستقبال أى لا يكتب لهم النصر لا حاضراً ولا مستقبلاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، كما عبر الشاعر عنهم بالاسم الموصول(منْ) لغرض التوبيخ والتقليل من شأنهم ، ومن المعلوم أن التعريفَ بالموصوليَّة (مبحثٌ دقيقُ المسلكِ، غريبُ النزعة يُوقِفُكَ على دقائقَ مِن البلاغةِ تؤنسُكَ إذا أنتَ نظرتَ إليها بثاقبِ فكرك، وتُثلجُ صدركَ إذا تأمَّلتها بصادقِ رأيكَ) [1]، ونلاحظ براعة الشاعر في التعبير عن ذات المولى تبارك وتعالى بلفظ (الديَّان) وهو القاضي والحاكم والمجازي بالخير والشر والحاسب والقهار[2] فجاء باسم من أسماء الله

(١) يراجع: جواهر البلاغة للهاشمي(١١٥).

(٢) يراجع: المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تأليف(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة(١/ ٣٠٧).

تناسب مع المعنى وأنه العدل الذي لا ينصر من يعادى مصطفاه وحبيبه (ﷺ)، ولم يكتف الشاعر بوصف هؤلاء الطاعنين بالسرقة والمكر ، ولكنه شرع في تفصيل خصالهم الخبيثة القائمة على الكذب والبهتان ، فوصفهم بقوله:(الْغَارِقُونَ بِتِيهِهِم وَضَلاَلِهِمْ) ، والتعبير عنهم بـ (الغارقون) فيه دلالة على انغماسهم في الضلال والهلاك ، وهذا اللفظ فيه استعارة تبعية حيث شبه التخبط والانغماس في الباطل بالغرق ثم استعار الغرق للتخبط ، ثم اشتق من الغرق الغارقون بمعنى المتخبطين والهالكين ، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية ، وأكدت هذه الاستعارة على انغماسهم في الضلال وجسدها الشاعر في صورة محسوسة لتكون أرسخ في ذهن المتلقي كما كشفت عن شدة ما هم فيه من ضلال حتى أنه يحيطهم من كل جانب ولا يستطيعون الفرار منه مثلهم مثل الغريق ، وقد أشاد الإمام عبد القاهر بهذه اللغة الحسية التصويرية التي تعبر عن هذه المعنويات بطريق المجاز فقال:(فأَوَّلُ ذلك وأظهره، أنّ أُنْس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ، وتأتيها بصريح بعد مكنىٍّ، وأن تردَّها في الشيء تُعلِّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتُها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقُلها عن العقل إلى الإحساس وعما يُعلَم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفادَ من طرق الحواسِّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدِّ الضرورة، يفضلُ المستفاد من جهة النَّظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: ليس الخَبرُ كالمُعاينة، ولا الظنُّ كاليقين)[1]، وجاءت(الباء) التي للإلصاق في(بتيههم) للتأكيد على ضلالهم وكأنهم ملتصقين به متلبس بهم ، فهم في شتات

(١) يراجع: أسرار البلاغة(١٢١، ١٢٢).

وضياع، كما أكد على ذلك استخدام صيغة اسم الفاعل(الغارقون) للدلالة على انغماسهم في الضلال وثبوت هلاكهم ودوامه، ثم تحدث عنهم بصيغة الماضي فقال:(فَقَدُوا أَمَامَ جَمَالِكَ الإِدْرَاكَا) وهذا للتأكيد على أنهم فقدوا إدراكهم ووعيهم أمام جماله(ﷺ)، والجمال هنا حسي ومعنوي فهو جميل في خِلقته وخُلقه(ﷺ) والشاعر يستحضر ذات الرسول مخاطباً إياه في جلَّ أبياته حتى في أبياته التي يستنكر فيها فعل الطاعنين فيه(ﷺ)، وهذا يكشف عن تعلق قلبه بحبه وبيان مكانته العالية عنده ومشاعره التي تفيض شوقاً وعشقاً له(ﷺ)، وقد فصل الشاعر بين هذه الجملة وما قبلها ، والسر هو شبه كمال الاتصال ، فالشطر الأول أثار سؤالاً وهو ماذا حدث لهؤلاء ؟ فكانت الإجابة أنهم فقدوا الإدراك أمام جماله(ﷺ) ، وهذا البيت كناية عن عدم وعيهم وأنهم مثلهم مثل الأنعام التي لا تعقل ، وهذا أبلغ في ذمهم وأقوى للسخرية والتهكم منهم، ويمكن حمل هذا البيت على الاستعارة التمثيلية حيث شبه الشاعر حال هؤلاء الطاعنين عندما رأوا جماله(ﷺ) وحسن سيرته ونوره الوهاج الذي عم الكون بحال الشخص الذي يفقد الرؤية والإدراك عندما ينظر إلى الشمس من شدة ضوئها ووهجها ، وهذه الاستعارة القائمة على التمثيل(تدل على أن الشاعر يلم بالصورة إلماماً تاماً يدق في أجزائها ، ويحصر أطرافها ، ويستقصى جوانبها ، وهذا دليل التمكن في الفن والدقة في التعبير ، وخصب الخيال) [1]ويمكن حمله على الاستعارة المكنية حيث شبهه (ﷺ) بالشمس ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو فقد الإدراك عند النظر إليه ، ويستمر الشاعر في

(١) يراجع: لبيد بن ربيعة العامري ، د/ يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ط٣، ١٩٨٣م ، ص(٤٢٠).

وصفهم والاستدلال على تخبطهم وضلالهم فيقول:

ظَنّوا رُسُومَهُم تُشَوِّهُ شِرْعَةَ اللهُ أَيَّدَهَا وَصَانَ خُطَاكَا

وقد فصل الشاعر بين هذا البيت وسابقه، والسر هو شبه كمال الاتصال لبيان شدة الارتباط بين البيتين وأن هذا ما هو إلا دليل وتأكيد على الحكم السابق بضلالهم وفقدهم لإدراكهم ، وقد نكر لفظ (شرعة) للتعظيم من شأن الشريعة الإسلامية وللتمكن من وصفها بأن الله مؤيدها ، وفي قوله:(اللهُ أَيَّدَهَا) ، (وَصَانَ خُطَاكا) تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي ، وهذا التقديم أفاد الاختصاص والتوكيد حيث اختص سبحانه وتعالى دون غيره بالتأييد والنصرة للشريعة والسنة النبوية، والصون لها عن كل ما يشوهها ، وهذا فيه تشريف ليس بعده تشريف فإذا كان التأييد من الله فما أعظمه، فهو النصر المحقق بفضله سبحانه ، وهذا تأكيد على أنه سبحانه لا يتخلى عن رسله فهو ناصر من نصر شرعه لا محالة ، وهذا ما حاكاه القرآن الكريم فيقول جلَّ شأنه﴿ه ه ے ے﴾[1]، وتظهر براعة الشاعر في الجمع بين الفعل(أَيَّد ، صَان)، حيث يبين أنه سبحانه وتعالى لم يؤيد الشريعة فقط ، ولكنه وضع قانون صيانة يمتثل به المؤمنون الجديرون بالنصرة والتأييد ، وهذا المعنى فيه دلالة على تكفل الله بحفظ دينه إلى يوم القيامة ، ونلاحظ بعد التعرض لهذه الأبيات أن الشاعر قد وصف هؤلاء الطاعنين لذاته(ﷺ) بأكثر من وصف فوصفهم بالسارقين ، وأنهم كالذئاب ، وأنهم كالغرقى في بحر الضلال ، ووصفهم بمن فقد عقله ، ففصَّل في

(١) سورة الروم : الآية :(٤٧).

وصفهم وذمهم ، وهذا من باب الإطناب[١] لأن المقام مقام ذم وإنكار ما يفعله هؤلاء السفهاء فاقتضى المقام التفصيل والإطالة ولكل مقام مقال، وجاء في البغية عن فضل الإطناب(ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكن، فإن المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام، تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه إلى ما يَرِد بعد ذلك..)[٢] و يأتي الشاعر بعد هذا التوضيح المفصل لصفات هؤلاء المعتدين وإنكاره لأفعالهم المشينة يبين موقف المؤمنين ، ورد فعلهم تجاه تلك الإساءات ، وذلك عن طريق السرد والحكاية بالأسلوب الخبري فيقول:

وَالْمُؤْمِنُونَ الْغَاضِبُونَ تَدَافَعُوا ... شُهُباً تُبِيدُ الآثِمَ الأَفَّاكَا
وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ كُلَّ مُوَحِّدٍ ... وَيَصُبُّ فَوْقَ الْمُعْتَدِينَ هَلاَكَا

وهنا جاء الشاعر بـ (الواو) في بداية هذا البيت للدلالة على شدة الاختلاف بين الفريقين فريق المتعرضين له(ﷺ) والمدافعين عنه ، فهو فرق بين حق وباطل ، و(الواو)استئنافية لتفيد معنى جديداً يبرهن على انتهاء هذا الظلم وهذه الإساءات ، وقد رفع الاسم بعدها، وكأنه تأكيد جديد بعد تأكيد،، فالنصر للشريعة محقق بنصر الله وشجاعة المسلمين ، وهذا ما أفاده القصر في البيت السابق ، وعبر عنهم باسم الفاعل(الْغَاضِبُونَ) للتأكيد على ثبات إيمانهم ، وغضبهم الشديد وتصديهم لهذه المحاولات الخبيثة،

(١) والإطناب هو:(كوْنُ الكلام زائداً عمّا يُمْكن أنْ يُؤَدَّى به من المعاني في معتاد الفصحاء، لفائدة تُقْصَد) يراجع: البلاغة العربية(٢ / ٦٠).
(٢) يراجع: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة(٢/ ٣٤٦).

ويأتي الفعل الماضي(تَدَافَعُوا) على صيغة (التفاعل) وهو فعل يشعُّ بالحركة والتدافع لبيان المبالغة في هذا التدافع وكثرته ،وكأن تدافعهم قد ملئت به الأرض وهنا عظمت الدلالة ، وقويت المبالغة ، ومن المعلوم أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، وأكد هذا المعنى تشبيه الشاعر لهم بالشهب في قوله:

(تَدَافَعُوا شُهُباً) وهنا تشبيه بليغ يعكس قوة هؤلاء المؤمنين وكأن صفات الشهب تلبست بهم لذا قام التشبيه على حذف الأداة، التنوين في(شُهُباً) أكد المعنى ووضحه ، بالإضافة إلى تنكير هذا اللفظ للتمكن من وصف هذه الشهب بأنها(تُبِيدُ الآثِمَ الأَفَّاكَا) والفعل المضارع ساعد على استحضار صورة هذه الإبادة واستمرارها ، ويأتي الشاعر بصورة بيانية رائعة زادت المعنى وضوحاً وجلاءً ، وذلك في قوله:(الآثِمَ الأَفَّاكَا) حيث شبه المتعرضين لذاته(ﷺ) بالشياطين وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله:(شُهُباً تُبِيدُ)على سبيل الاستعارة المكنية، وهو كناية عن هؤلاء المتعرضين المعتدين ، وهى كناية مبنية على المجاز ، وقد حكي القرآن هذا المعنى وهو أن الشياطين تُباد بالشهب ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ﴾[1]، وأكد الشاعر على هذا المعنى وهو وصفهم بالشياطين من خلال التعبير عنهم بقوله:(الآثِمَ الأَفَّاكَا) ، وهذا ما حكاه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ

(١) سورة الصافات : الآية :(١٠).

ئې﴾[١] فالشياطين لا تنزل إلا على أمثال هؤلاء ، كما الإتيان بهاتين الصفتين على صيغة اسم الفاعل فيه دلالة واضحة على ثبوت الإثم والافتراء فيهم والتأكيد على ملازمتهم لهذه الصفات ، ومن المعلوم أن اسم الفاعل يعمل على(تقرير المعنى وتأكيده وحصوله في الذهن كما يعمل على زيادة طاقة الصورة ، وقدرتها على خطاب مخيلة المتلقي)[٢]بالإضافة إلى استخدام صيغة المبالغة(فعَّال) في وصفهم بقوله:(الأَفَّاكَا) وهذا للمبالغة في وصفهم بالافتراء والكذب ، وهذا أبلغ في ذمهم ، وتأكيد على قوة هذه الشهب المتمثلة في المؤمنين وقدرتهم الفائقة في القضاء على هذا الافتراء مهما بلغت قوته ، واستخدام الشاعر لهذه الأساليب يكشف عن براعته ودقته في اختيار أساليبه ، كما يظهر تأثر الشاعر بمعاني القرآن الكريم وألفاظه في هذا البيت ظهوراً واضحاً ، وهذا يكشف عن عمق ثقافته الدينية وتشربه لمعاني القرآن العظيم ، ويؤكد الشاعر على أن النصر قادم وقريب فجاء بالفعل المضارع(وَلَيَنْصُرَنَّ) وقد دخلت (اللام) التي للتأكيد على الفعل المضارع المسند إليه نون التوكيد الثقيلة ، وهذا يدل على تحقيق هذا النصر، واستمراره وتجدده ، ومن بلاغة التعبير بالأفعال المضارعة(كأنها مرايا ترى فيها وبها الأحداث وتسمعها وكأنك تقرأ بالصور وليس بالكلمات)[٣]، وهذا النصر من باب البشارة لهؤلاء المؤمنين فهو(سبحانه وتعالى) ينصر من ينصره ، وجاء الشاعر بلفظ العموم (كل) ليدل على شمول النصر لكل موحد واستغراقه فهو مستمر في كل زمان

---

(١) سورة الشعراء : الآية :(٢٢١، ٢٢٢).

(٢) يراجع: في صحبة النص ، د/ طارق شلبي (٩٨) بتصرف.

(٣) يراجع:قراءة في الأدب القديم د/محمد أبو موسى(١٢٢) مكتبة وهبة، ط٢، ١٩٩٨م .

ومكان ، وجاء لفظ (كل) داخلا على كلمة (مُوَحِّدٍ) وهى لفظة مفردة للدلالة على أن النصر يشمل الفرد والجماعة ، ولبيان أهمية رسوخ العقيدة النقية (التوحيد) في كل من تهفو نفسه إلى النصر ، وجاء الشاعر في هذا الشطر متأثراً بقول الله تعالى:﴿چ چ چ چچ چ چ چ ڇ﴾[1] ثم يأتي الشاعر في الشطر الثاني ، مهدداً ومتوعداً لهؤلاء المعتدين فيقول:(وَيَصُبُّ فَوْقَ الْمُعْتَدِينَ هَلاَكَا) فهو يبين جزاء كل معتد أثيم ، وجاء الأسلوب معبراً عن هذا المعنى ، وذلك من خلال الفعل المضارع (يَصُبُّ) والذي دل على استمرار هذا العذاب وتجدده ، وما فيه من التشديد دل على التأكيد على هذا الصب ، والظرف(فوق) فيه دلالة على اشتمال العذاب لهم فهو فوقهم متلبس بهم ومتمكن منهم ، وتسليط (الهلاك) على المعتدين بشكل دائم ومستمر، صورة منفرة ورادعة لكل معتدٍ ، بالإضافة إلى تنكير كلمة(هلاكا) للتهويل والتفخيم من هذا الهلاك فلا يعلم كميته وكيفيته إلا هؤلاء المعذبون ، واللام في(الْمُعْتَدِينَ) للعهد ولكنه عهداً ذهنياً ، فالمراد صب الهلاك فوق أي معتد على الدين، وفى قوله:(هلاكا) استعارة مكنية حيث شبه الهلاك بالحمم، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو(الصَّب) وفى الشطر الثاني تأثراً بقوله تعالى:﴿ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے﴾[2]، وهذا التأثر أضفى على الأسلوب رونقاً وبهاءً كما أنه أكد على المعنى وتوعد هؤلاء المعتدين بالعذاب والهلاك، هذا البيت تشع منه الحكمة ويجرى مجراها .

(١) سورة الحج: الآية :(٤٠).
(٢) سورة الحج: الآية :(١٩).

ويؤكد الشاعر مرة أخرى على محبة الرسول الكريم(ﷺ) فيقول:

أَنْـــتَ الْحَبِيـــبُ الْمُصْـــطَفَى وَاللهُ يَنْصُـــرُ كُـــلُّ مَـــنْ وَالاَكَـــا
قَـــدْ تُمْهِـــلُ الأَقْـــدَارُ غِـــراً حَاقِـــداً لَكِنَّهَـــا لاَ تَنْصُـــرُ الإِشْـــرَاكَا

وهنا قصر الشاعر الرسول(ﷺ) على صفتي المحبة والاجتباء وهذا القصر قائم على تعريف الطرفين ، وقد كرر الشاعر هاتين الصفتين في استهلال القصيدة ، وهذا التكرار يدل على مكانة الرسول العالية في نفوس المؤمنين، واصطفائه واجتبائه في الأرض وفى السماء(والقاعدة الأولية في التكرار أن اللفظ المكرر وثيق الصلة والارتباط بالمعنى العام الذي يريده الشاعر ، وهو إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها) [1]، كما أكد على هذا الحب من خلال قوله:(وَاللهُ يَنْصُرُ كُلُّ مَنْ وَالاَكَا) فالله ينصر من نصر رسوله الكريم ، وتقديم لفظ الجلالة(الله) على الفعل(يَنْصُرُ) يفيد التخصيص والتأكيد ، أي أن النصر لكل من نصر الرسول الكريم لا يكون إلا من عند الله ، وهذا فيه تشريف وتعظيم لهذا النصر ، ويوحي بأن الله لا يخلف وعده رسله والسائرين على طريقهم ، الذي يهفو إليه الشاعر، ولفظ(كل)أفاد شمول وعموم هذا النصر ، ثم يعود الشاعر مرة أخرى ليتوعد هؤلاء المسيئين ، ويصفهم بالحقد والحماقة ، ويؤكد على أن الله يمهل الظالم ولا يهمله ، فلن يفلت أبد الدهر، فيقول:(قَدْ تُمْهِلُ الأَقْدَارُ غِراً حَاقِداً) ، وجاءت(قد) داخلة على الفعل المضارع لتفيد

(١) يراجع: بحث بعنوان الصورة البيانية فى ديوان(مع الله) للشاعر عمر الأميري د/صلاح الدين غراب (٣١٩) نشر بمجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق العدد الخامس والعشرون.

تقليل هذا الإمهال ، وإسناد الإمهال للأقدار مجاز عقلي ، فالأقدار ليست هي الفاعلة لهذا الإمهال ، ولكن الفاعل(الله تعالى) والعلاقة هي السببية ، فالأقدار سبب لهذا الإمهال ، وعبر الشاعر عن هذا الظالم بقوله:(غِراً حَاقِداً) وهذا للتأكيد على ثبوت صفة الغرور والحقد في هذا الظالم ودوامها كما أن (التنوين) فيه أعطى الأسلوب دلالة أوضح ، فهو يدل على حدوث التأكيد في الزمن الحاضر والمستقبل(لأن اسم الفاعل المجرد من(أل) إذا دخله التنوين وعمل عمل الفعل دل على زمن المستقبل)[1] ، ثم يأتي الشاعر في الشطر الثاني بالاستدراك[2] ليرفع توهم أن هذا الإمهال قد يكون داخلاً في الإشراك ، وبهذا يطمئن الشاعر أصحاب الرسول الكريم الذين تدافعوا - غضباً لنصرته بأن هذا الباطل نهايته معلومة على مدى التاريخ، وجاءت أداة النفي(لا) لتدل على أن نصر الإشراك شيء مستحيل ، ولذلك استخدم الشاعر حرف النفي(لا) لدلالتها الواسعة على النفي دون غيره ، والنفي بها عاماً فتنفى المضارع: قال سيبويه وأما(لا) فتكون نفياً لقول القائل هو يفعل ولم يقع الفعل وقد نفي بها الماضي[3] في قوله تعالى:

---

(١) يراجع: النحو والدلالة في بنية النص الشعري د/ محمد السيد سعيد (١٣١) دار الحكمة القاهرة ط١ ١٤٣٤ه ٢٠١٣م.

(٢) الاستدراك: هو تعقيبُ الكلام برفع ما توهّم ثبوته. يراجع: اللمحة في شرح الملحة لمحمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، المعروف بابن الصائغ(٥٤٢/٢) تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٣) يراجع: المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري جار الله ، ت د/ علي أبو ملحم ، مكتبة الهلال ، ط١ ، ١٩٩٣م، بيروت ، ص(٤٠٦).

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾[1]، وإسناد عدم نصر الإشراك للأقدار أيضاً مجاز عقلي علاقته (السببية) وعبر الشاعر بالمصدر(الإِشْرَاكَا) في مقام التعبير باسم الفاعل ، حتى يدل على المبالغة في القضاء على هذا الشرك، فهو لا تقوم له قائمة، ثم يبين الشاعر طرفاً من عزيمة الغيورين على الرسول الكريم من خلال الجملة الخبرية (إِنَّا نَسِيرُ عَلَى السِّيُوفِ إِلَيْكَ) ، وجاءت (إنَّ) للتأكيد على هذا السير وتجدده واستمراره ، وقد استعار الشاعر لفظ(السيوف) للأخطار حيث جسدت الأخطار في صورة حسية مرئية على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والتي أظهرت مدى قوة هؤلاء المؤمنين وبيان شجاعتهم فهم يتحملون المخاطر، ويقبضون على دينهم تمسكاً بالحق المبين ، وهذه الجملة كناية عن التجلد والعزيمة في مواجهة المشوهين للدين الحنيف، وحدد الشاعر هدف هذا السير من خلال قوله:(إِلَيْكَ) ، والمخاطب هو الرسول الكريم، والتعبير بأسلوب الخطاب فيه تعظيم لذاته الكريمة (ﷺ) ويوضح الشاعر هذا الزمن الذي يسير فيه المسلمون على المخاطر فيقول:(في عَصْرٍ يُحَرِّقُ مَنْ يَرُومُ هُدَاكَا) ونكر لفظ (عصر) ليتمكن من وصفه بالجملة بعده ، فهو عصر يواجه فيه كل من يطلب هدي النبي وسنته الشدائد والمحن ، والفعل (يُحَرِّقُ) وما فيه من التشديد يعكس لنا هذه الصورة المؤلمة للمعتدين على دين الله وبيان كثرة هذا الحرق ، وما يواجهه المسلم في سبيل الدفاع عن عقيدته ، وفى هذا الفعل استعارة تبعية ، حيث شبه مطاردة المسلم ومحاربته بالحرق ثم استعار الحرق للمحاربة ، ثم اشتق من الحرق يُحَرِّقُ بمعنى يحارب

(١) القيامة:(٣١).

ويطارد، وكشفت هذه الاستعارة عن المصاعب والشدائد والعقبات التي يواجهها المسلم في سبيل الدفاع عن دينه وسنة نبيه ، وإسناد التحريق للعصر مجاز عقلي علاقته الزمانية يكشف عن المبالغة في انتشار هذا التحريق، وكناية عن انتشار الظلم في هذا العصر، وقوله:(هُدَاكَا) كناية عن السنة النبوية المطهرة والمنهج الذي جاء به النبي الكريم ، والبيت كناية عن شجاعة المؤمنين وحرص هؤلاء المعتدين على النيل من الإسلام ، ونلاحظ أن حرف(القاف) قد تكرر في هذا البيت ثلاث مرات ، وهو حرف شديد انفجاري ، وهو يجود استعماله في مواقف الاصطدام والشدة ، وهذا يؤدى المعنى الذي يريده الشاعر من وصف هذا العصر بكثرة الشدائد التي يواجهها المسلم فيه، وبعد أن بيَّن الشاعر ما يواجهه المسلمون من المخاطر في سبيل التمسك بهدية الشريف ، يستدعى التاريخ ، وقصة سيدنا(إبراهيم عليه السلام) فهو أبو الأنبياء وقد تعرض للفتن ، وألقى في النار ، ولكنه انتصر بتأييد الله له، فكذلك نحن السائرون على منهج الله، سيكتب الله لنا النصر مهما تعاقبت المحن ، وهذا وعد الله فيقول:

نَارُ الْخَلِيلِ نَخُوضُ فِي أَفْيَائِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَالنَّجَاةُ لِقَاكَا

وبني الشاعر بيته على لفظ (نَارُ) وهو لفظ يوحى بالمعاناة والألم ، وهذا يتفق مع المعاناة التي يعيشها المسلمون في الوقت الحاضر من فتن ، لذا يمكن حمل قوله:(نَارُ) على الفتن على سبيل الاستعارة التصريحية ، وبذلك استعار الشاعر للفتن لفظ (النار) لما بينهما من تشابه في شدة اللهيب والأذى ، وبذلك يحمل لفظ (الْخَلِيلِ) على التورية فقد يراد به معنى قريب وهى النار التي ألقى فيها سيدنا(إبراهيم عليه السلام)وهى تمثل الفتن التي تعرض لها سيدنا إبراهيم ، أو يراد به معنى بعيد وهى نار الاحتلال في

منطقة (الخليل) فلسطين، وعبر الشاعر بالفعل(نخوض) والأصل فيه المشي في الماء ، واستعمله الشاعر للدخول في النار على سبيل الاستعارة التبعية لبيان أن هذه النار، والتي تتمثل في الفتن محيطة بنا لا نستطيع الفرار منها كما أن الماشي في الماء يصعب حركته فيها ، والفَيْءُ (ما كان شمساً فَنَسَخَه الظِّلُّ والجمع أَفْياءٌ)(١)، وهذا يؤكد على أننا نواجه مثل هذه النار وهذه الفتن كل يوم ، فهي تتفق معها في كل جوانبها من الألم والمعاناة ، لذا عبر الشاعر بقوله:(فِي كُلِّ يَوْمٍ) وهى كناية عن الاستمرار ، وتكرار هذه المعاناة ، ويختم الشاعر بيته بقول:(وَالنَّجَاةُ لِقَاكَا) ليظهر أننا لم نتوقف عند الشدائد والمحن ، ولكن هدفنا الوحيد هو اللقاء بك يا رسول الله ففيه النجاة ، وهذه الجملة تجرى مجرى الحكمة ، وليس المراد بالتلاقي هو التلاقي الجسدي ، وإنما المراد به التلاقي على هديه الشامل(ﷺ) ، والامتثال التام بما أمر به الرسول الكريم ، وتبليغه فلا ينصلح حال الأمة بدونه ، وهذا ما يدعو إليه الشاعر من بداية القصيدة ويؤكد عليه ، وقدم الشاعر لفظ (النجاة)على(لقاك) ليقصر النجاة على هذا اللقاء ، فالنجاة من هذه الفتن لا تتحقق إلا عند لقائه عليه الصلاة والسلام من خلال الالتزام بمنهجه وإتباع سنته ، كما أن لفظ (النجاة) يوحى بالأمل وإغراء المخاطب على السير على هذا الطريق المستقيم ، والذي هو محور تجربة الشاعر في قصيدته ، وبهذا أنهى الشاعر فكرته والتي ظهر فيها مدى الحزن والألم الذي يعانيه بسبب ما آلت إليه أمة الإسلام من بعد عن منهج الله وسنة نبيه ، وعبر عنه من خلال أساليبه ولكن الشاعر لا يستسلم لهذا الشعور ويستدعى في الفكرة التالية التراث الديني و يوظفه من أجل بعث الحاضر

---

(١) اللسان: مادة (فيأ).

واستعادة مجد الإسلام الضائع ، فكان الشعور والوجدان هو الرابط بين الفكرتين.

المبحث الثالث

استدعاء الماضي لبعث الحاضر(٢٨-٣٤)

"وَأَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ" وَأَنَا ابْنُ عَبْدِ ... الْمُطَّلِبْ تَتَحَدَّيَانِ عِدَاكَا

تَتَحَدَّيَانِ الْمُغْمِضِينَ قُلُوبَهُمْ ... والرَّافِضِينَ سَبِيلَ مَنْ قَوَّاكَا

تَتَكَاثَرَانِ مَعَ الزَّمَانِ فَكُلَّنَا ... حَرْبٌ عَلَى مَنْ يَسْتَبِيحُ حِمَاكَا

هِيَ صَيْحَةٌ لَكَ فِي حُنَيْنٍ حَطَّمَتْ ... جَيْشَ الْغُرُورِ وَخَلَّدَتْ دَعْوَاكَا

كَانَتْ بِسَيفِ ابْنِ الْوَلِيدِ مَضَّاءَةً ... وَالنَّصْرُ ظِلُّ مُحَارِبٍ يَهْوَاكَا

وَعَلَـى الأَسِـنَّةِ كَـانَ نُـورُ لَهِيبِهَـا حِمَمـاً تَشُـلُّ طَرِيـقَ مَـنْ آذَاكَـا

وَتَنَقَّلَـتْ عَبْـرَ الْقُـرُونِ صَـوَاعِقاً سَـحَقَتْ حُصُونَ الْبَغْيِ وَهِـيَ صَدَاكَا

ويأتي الشاعر في هذه الفكرة ليبعث الهمم ، وليبث روح العزيمة في نفوس السامعين فيستدعى قول النبي الكريم «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ " أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»(١) وهى تمثل الرد الواضح على أعداء الرسول ، والذي سبق الحديث عنهم في الفكرة السابقة كما أنها أيضاً تذكير للمؤمنين وتنبيههم إلى ما فيها من فخر واعتداد بالنفس وثقة كانت سبباً في النصر وهزم الأعداء ، وبهذا برع الشاعر فى توظيف هذه المقولة النبوية في دعوة المؤمنين لاستعادة ثقتهم بأنفسهم ، وإعادة بنائهم من جديد حتى يستعيدوا مجدهم ويحافظوا على دينهم من أي معتد أثيم ، وهنا اقتبس الشاعر لفظ الحديث النبوي ومعناه ، والاقتباس ، والتأثر بالبيان النبوي في شعر د/ صابر يمثل ظاهرة قوية واضحة ، فالروح الإسلامية تسرى في قصيدته ، وتؤكد على عاطفته الإيمانية، والقول النبوي الذي اقتبسه الشاعر، ليس فيه(واو) في بدايته ، وليس فيه واو بين الجملتين ، ولكن يبدو أن الشاعر أضافهما لاستقامة الوزن، وهو أسلوب خبري يمثل حائط الصد المنيع ضد دعاوى الحاقدين ، وهذا الأسلوب يعكس ثقة النبي في نفسه ، فضلاً عن التعريف بالضمير في هذه المقولة ، والذي يعكس ثقة الرسول(ﷺ) العالية وتمكنه واعتداده بنفسه، لذا جاء الشاعر بلفظ يناسب هذه الثقة فيقول:(تَتَحَدَّيَانِ عِدَاكَا) والحديث هنا عن المقولتين ، وجاء الفعل المضارع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين ، حديث رقم (١٧٧٦)، (٣/١٤٠٠) صحيح مسلم ، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

للتأكيد على استمرار هذا التحدي وتجدده بتجدد الزمان ، ويفصل الشاعر بين هذا البيت وبين قوله:(تَتَحَدَّيَانِ الْمُغْمِضِينَ قُلُوبَهُمْ) لما بينهما من اتصال وترابط فهذا بيان وتوضيح لأثر هاتين المقولتين أيضاً على الأعداء، والسر كمال الاتصال ، ويكرر الشاعر الفعل(تَتَحَدَّيَانِ) إلحاحاً منه على بيان هذه الحقيقة التي أقرها حديث النبي الكريم عن نفسه ، وهى وجود نبوته ، كما فيها دلالة على التحدي المتزايد، فهي تتحدى كل من عاداها وتفحمه، وقوله:(الْمُغْمِضِينَ قُلُوبَهُمْ) كناية عن هؤلاء الأعداء ، وأسند الشاعر الغمض للقلوب دون العيون لما في القلوب من أثر فعال في إيمان المؤمن فهي مرتع التصديق ، ولكن لما بلغ عنادهم الغاية ، وزاد صدودهم عن الإسلام فصارت قلوبهم كالعيون يتحكمون في غلقها ، فأغلقوها ، ولم يستجيبوا لأي حق، وهذه للمبالغة في وصف صدودهم وبيان شدته ، وهذا من تراسل الحواس:(وهى وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى فالمشمومات تصير أنغاماً، والمرئيات تصبح عاطرة)(١)، ويسرى التحدي بهذه الكلمة النبوية أيضاً على هؤلاء الرافضين للطريق الموصل إلى رضا الله ، لذا تم عطف(الرافضين) على (المغمضين) ، ونلاحظ أن اللفظين على وزن اسم الفاعل وهذا للدلالة على ثبوت رفضهم وإغماضهم لقلوبهم عن كل ما جاء به نبي الخير ، بالإضافة إلى التشديد فيهما والذي يؤكد المعنى أكثر ويقويه ، ثم يوضح الشاعر أثر هذه الدعوة الصادقة ، وهو أن المؤمنين في تكاثر وتزايد ، وهذا إن دلَّ

(١) يراجع: الإبداع الفنى فى ديوان(نداء القمم) د/ صلاح الدين محمد ط١ - ١٤٢٤هـ ،٢٠٠٣م (١٥٦).

على شيء فإنما يدل على صدقه (عليه الصلاة والسلام) وصلاحه وإصلاحه فيقول:(تَتَكَاثَرَانِ مَعَ الزَّمَانِ) ودل الفعل المضارع على الاستمرار وتجدد هذا التكاثر حتى تقوم الساعة ، بالإضافة إلى صيغة (التفاعل) التي جاء عليها الفعل (تَتَحَدَّيَانِ، تَتَكَاثَرَانِ) وهى صيغة تشع بالحركة والمبالغة والتأكيد على هذا التحدي وهذا التكاثر، وكأن الأرض ملئت بهذا التحدي الناطق بالحق، ثم يأتي قوله:(فكلنا حَرْبٌ عَلَى مَنْ يَسْتَبِيحُ حِمَاكَا) لبيان أنه من حقه على أتباعه أن يكونوا حرباً على من يستبيح حرماته ، وهذا ما أفاده لفظ العموم(كلنا) متصلة بضمير الجمع ، وقد جاء لفظ (حرب) نكرة لتعظيم هذه الحرب والتهويل منها ، والإتيان بها في صيغة المصدر فهو غير مرتبط بزمن ، وهذا دليل على ثبات هذه الحرب وقوتها ، وجاء الاسم الموصول(من) لتحقير كل من يستبيح حرمات الله ، وفى قوله:(فكلنا حَرْبٌ) تشبيه بليغ أدى معنى المبالغة والتأكيد على ضرورة التماسك والاتحاد بين المسلمين ضد من يعادى منهج الله ، ولكنها حرب تقوم على المجادلة بالتي هي أحسن ، والحكمة والموعظة الحسنة ، والتي تعامل بها نبي الرحمة مع أعدائه، ونلاحظ تكرار ضمير التثنية المتصل بالأفعال(تَتَحَدَّيَانِ، تَتَكَاثَرَانِ) وقد تكرر هذا الضمير ثلاث مرات ، والتكرار ما هو إلا تأكيد مستمد من قوة الجرس والإيحاء لهذا الضمير، فالمد(الألف) في هذا الضمير يوحى بمدى اتساع هذا التحدي وهذا التكاثر ، بالإضافة إلى حرف (النون) وهو حرف مجهور يشبه الحركة في قوة الوضوح السمعي[1]، وتكرار هذا الحرف بعد المد يتفق مع المعنى الذي

(١) يراجع: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور د/ صابر عبد الدايم ط٣ ، ١٤١٣ه، ١٩٩٣م ، ص(٣٢).

يريد أن يعبر عنه الشاعر وهو الظهور الواضح ، والأثر الفعال لهاتين المقولتين في نفوس المسلمين .

ويسترسل الشاعر في بيان هذه المقولة النبوية مشيراً إلى المناسبة التي قيلت فيها وهى غزوة (حنين) والتي انهزم فيها المسلمون في البداية ثم كتب الله لهم النصر بعد ذلك ، وكان سبب النصر هذه المقولة ، والتي تحمل كل معاني الشجاعة والثقة والصمود فبعثت الأمل والثقة في نفوسهم ، فعبر عنها بقوله:(هِيَ صَيْحَةٌ لَكَ فِي حُنَيْنٍ) والضمير هنا يعود على هذه الصيحة ، وذكر المسند إليه من أجل التقرير والتأكيد على فضل هذه الصيحة والتي بعثت القوة والشجاعة في نفوس المسلمين بعد أن تسرب اليأس إلى نفوسهم ، ولأن المقام مقام فخر ، وعبر عنها الشاعر بـ(الصيحة) لما فيها من الشدة والقوة والمفاجأة ،والتعبير بقوله:(لك) فيه بيان لخصوصية هذه الصيحة بذات الرسول ، ثم يأتي بقوله:(حَطَّمَتْ جَيْشَ الْغُرُورِ) لبيان أثر هذه الصيحة ، واشتملت على صورة بيانية تمثلت في الاستعارة التصريحية التبعية [1]،وهذه الاستعارة بيَّنت مدى ضعف هذا الجيش فهو على باطل حتى أنه قابل للتحطيم والإبادة ، والسر في التعبير بالفعل الماضي(حطَّم) دون غيره لتحقق وقوع هذا التحطيم ، ولبيان ما فيه من القوة فهو لكسر الشيء اليابس كما فيه دلالة على الانهيار والهدم والتلاشي، وما فيه من التشديد أكد المعنى ووضحه ، كما فيه بيان لقوة

---

(١) حيث شبه الشاعر الهزيمة بالتحطيم ، واستعار التحطيم للهزيمة، واشتق من التحطيم بمعنى الهزيمة حطمت بمعنى هزمت على سبيل الاستعارة التبعية في الفعل.

هذه الصيحة ، وقوله:(جَيْشَ الْغُرُورِ) كناية عن الأعداء ووصفهم بهذا الوصف فيه تحقير لهم فهم جيش الباطل ، وهذا كان أثر الصيحة فى جانب الأعداء وهو التحطيم والكسر ، أما في جانب الرسول والمسلمين فإنها(خلَّدَتْ دَعْوَاكَا) فهي بقوتها وأثرها في نفوس المسلمين خلدت المنهج النبوي، وهذا الفعل (خلَّدَتْ) فيه بناء وإيجابية وإقدام وتألق ، والإتيان به بصيغة الماضي ، والتشديد فيه أكد وقوع التخليد للدعوة المحمدية على مر الزمان ، ونلاحظ الطباق بين الفعلين(حَطَّمَتْ، خلَّدَتْ) وما كان له من أثر في توضيح الصورة وبيان الفرق بينهما، فالصيحة كانت لها أثر بيِّن في جانب المسلمين والكفار، وكل منهما يختلف عن الآخر ، وهذا ما بينه الطباق، ومن المعلوم أن الطباق(يجذب انتباه المتلقي إلى ما في التعبير من إثارة فكرية وشعورية تحقق نوعاً من المتعة الفنية لدى المستمع بالإضافة إلى أن الشيء ونقيضه حين يجتمعان يبرز كل منهما ما في الآخر من أبعاد ودلالات) [1].

والسر في استدعاء الشاعر لهذه الغزوة دون غيرها لما فيها من المفاجئات ، وكانت العبرة منها تناسب واقعنا الحاضر ففيها ضرب الرسول الكريم لنا أروع الأمثلة في الثبات والقوة وهو القائد، وفيها عودة الأمل بعد اليأس ، مما ترتب عليه النصر بعد الهزيمة واستدعاء هذا التراث الديني بمثابة دعوة من الشاعر للمسلمين فى الوقت الحاضر وخاصة القادة والزعماء الذين يتولون أمر رعيتهم بأن يسلكوا هذا الطريق ويحققوا هذه

(١) يراجع: عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون ، د/ فوزي خضر(١٨٥) الهيئة العامة لقصور الثقافة،٢٠٠٤م .

الصفات من الثبات والقوة ، ولنا في رسولنا الكريم (ﷺ) القدوة الحسنة فكان الإمام وعندما أعلن ثباته لحقه الصحابة وزاد ثباتهم ، كما فيها دعوة لبعث الهمم حتى ولو باللسان .

ويستمر الشاعر في بيان أثر هذه الصيحة ، وأنه لم يقتصر أثرها على تحقيق النصر في غزوة (حنين) فقط ، ولكن كانت بمثابة المنهل الذي يستمد منه المسلمون عزيمتهم وقوتهم فى كل زمان ومكان ، فهي رمز البطولة في كل الغزوات ، ويظهر ذلك من خلال استدعائه للشخصية الإسلامية(خالد بن الوليد) سيف الله المسلول ، وأثر هذه الصيحة على سيفه فأصبح بفضلها قاطعاً ماضياً ، فجاء (بالباء) في بالسيف لبيان مدى أثرها عليه وكيف كان هذا الأثر ملصقاً به ، فهي كانت العامل القوى على حدته ومضائه ، وجاء في الشطر الثاني بقوله:(وَالنَّصْرُ ظِلٌّ مُحَارِبٍ يَهْوَاكَا) فقرر هذا الأسلوب الخبري هذه الحقيقة وهى أن النصر حليف من يهوى رسوله ، وهنا تشبيه بليغ حيث شبه النصر بالظل الذي يلازم صاحبه، ولكنه ليس لأي إنسان فهو للمحارب الذي يهواك ويحب سنتك يا رسول الله ، وجملة (ظِلٌّ مُحَارِبٍ) جملة حالية حال النصر وأنه ظلّ للمحارب الآخذ بأسباب التحدي المتمسك بدينه وشريعته ، ونكر لفظ(محارب) لبيان التعظيم والشمول، وللتمكن من وصفه بالجملة(يهواك) فشرط النصر لهذا المحارب المحبة للرسول الكريم ، وجاء الفعل المضارع ليفيد ضرورة أن هذا الحب النبوي لابد أن يكون متجدداً ومستمراً ، والتعبير عن هذا المحارب بصيغة اسم الفاعل تشير إلى ما يجب أن يتوافر فى هذا المحارب من الثبات والثقة، فالنصر ليس إلا للمحارب الثابت على الحق وحب النبي راسخ في قلبه، ونلاحظ مراعاة النظير في البيت بين

الألفاظ (سيف ، مضاءة، النصر ، محارب) فكلها ألفاظ متآخية ساعدت على إبراز الصورة بالإضافة إلى ما فيه من الروعة وحسن التصوير الموسيقى ، ويأتي الشاعر أيضاً في وصف هذه الصيحة بقوله:(وَعَلَى الأَسِنَّةِ كَانَ نُورُ لَهِيبِهَا) وقدم الجار والمجرور على الفعل من أجل القصر حيث قصر نور لهيب هذه الصيحة على السيوف دون غيرها ، وهذه كناية عن قوة أثر هذه الصيحة على نفوس المسلمين في كل الفتوحات ، و(نُورُ لَهِيبِهَا) تعبير رمزي عن هذه الصيحة ، وفيها استعارة مكنية حيث شبه هذه الصيحة بالنار ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو(اللهيب) ، وأظهرت هذه الاستعارة أثر هذه الصيحة في صورة حسية مشاهدة، و تعبير الشاعر بلفظ (نُورُ) بدلاً من(نار) إشارة إلى أن اللهيب يجمع بين المنفعة والضرر ففيه النور الذي يستضاء به ، والنار التي يُحرق بها كل من يستحق هذا الحرق ، كما يوحى بأنها صيحة هدفها الأسمى هو نشر الحق وإبطال الباطل ولا تحرق إلا من عاند وتكبَّر فهي تشع بالنور والخير للمسلمين ، ونار على أعدائه ، ولكن الشاعر أخذ الشق الثاني من هذا اللهيب وجعله كالمنية المهلكة لكل من يؤذى رسولنا الكريم ، فشبه نار هذا اللهيب بالحمم وهى المنايا في قوله:(حِمَماً تَشُلُّ طَرِيقَ مَنْ آذَاكَا) وهو تشبيه بليغ أدى دوره في المبالغة والتأكيد على قوة هذه الصيحة حتى أصبحت كالحمم ، وصفة هذه الحمم أنها (تَشُلُّ طَرِيقَ مَنْ آذَاكَا) لذا نكر الشاعر لفظ(حِمَماً)لأنّ الجمل بعد النكرات صفات لاحتياجها إلى التخصيص ، وكأن هذه الحمم اختصت بأن تشل طريق هؤلاء الأعداء دون غيرهم ، بالإضافة إلى التعبير عنها بلفظ الجمع مع التنوين فيها أكد على قوتها وشدتها وتمكنها ، واختيار الشاعر للفعل(تَشُلُّ) دون غيره من

الأفعال التي تؤدى المعنى فيه دلالة على براعته في اختيار الألفاظ ودقته ، لأن هذا الفعل تدور دلالته حول إنهاء الحركة والعجز التام ، وبالإضافة إلى حرف(الشين) وما فيه من التفشي والذي يعكس تفشى هذا العجز عند كل المعاندين والحاقدين على الإسلام وينتشر في طريقهم ، وفيه استعارة مكنية حيث شبه طريق الأعداء بالإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الفعل(تشل) لأن هذا الفعل من صفات الإنسان، وبذلك جسدت لنا الاستعارة طريق كل من عادى رسوله الكريم فهى طرق ليست موصلة لشيء ومغلقة ، ومن يسير فيها تعقبه المنية وراء الأخرى ، ولم يعمم الشاعر لفظ(الطريق) ولكن حدد بأنه طريق من آذى رسوله الكريم ، وبناء عليه فلن يخلو طريق هذا المعادى من هذه الحمم وهذا اللهيب إلا بالحب الصادق والنقاء التام للرسول والعود الحميد إلى سنته(ﷺ) ، وهذا ما يرنو إليه الشاعر من بداية القصيدة ، وهو الطريق الحق ، ويختم الشاعر فكرته ببيان أن هذه الصيحة لم تكن في عصر النبي فقط ، ولكن امتد أثرها عبر القرون ، وأكد الفعل الماضي(تَنَقَّلَتْ) والتشديد على تحقق هذا التنقل ، وشبهها الشاعر بـ(صَوَاعِقاً) ، لتظهر قوتها على الأعداء ، فهي كالصواعق تصعق كل من يعادى منهجه(ﷺ)، وجاءت نكرة للتهويل منها ، وكذلك جمعها أكد على عظمتها وشدتها وجاء هذا ظاهراً من خلال وصفها بقوله:(سَحَقَتْ حُصُونَ الْبَغْيِ وَهِيَ صَدَاكَا) وهذا يؤكد على أنها موجهة لحصون البغي دون غيرها لأن صيحات القرآن تدل على أن البغي يعود بالوبال والهلاك على صاحبه ، و ظهر هذا من خلال الإضافة في(حُصُونَ الْبَغْيِ) وجمعها فيه دلالة على عموم وشمول هذا السحق لكل حصون البغي ، والفعل الماضي(سحقت) تؤكد على وقوع هذا الهلاك ثم

يختم الشاعر بيته بجملة اسمية(وَهِيَ صَدَاكَا) وهى تؤكد على أن هذه الصيحة صدى الرسول الكريم وترديد لمنهجه ودعوته إلى الثبات والقوة فهي ثابتة له(ﷺ)، وهذه الجملة تميزت بالإيجاز حيث ضمت معاني كثيرة رغم قصرها ، واستدعاء الشاعر لمثل هذه الأحداث التاريخية مثل غزوة (حنين) والشخصيات الإسلامية التى ضربت لنا أروع المثل فى التضحية والبطولة يبعث الآمال من جديد ليؤكد أن الهزيمة يعقبها نصر ، والضعف تعقبه قوة والكرب يعقبه فرج ، والعسر يعقبه يسران ، فلابد من شحذ الهمم واستعادة العزائم من مثل هذه الأحداث ، حتى يحرر الأقصى ولا يظل مكبلاً ، وهذا ما يريد الشاعر أن يؤكد عليه ويمهد به لفكرته اللاحقة والتي يعرض فيها لقضية المسجد الأقصى.

المبحث الرابع

المسجد الأقصى والواقع الأليم (٣٥-٤٤)

يَا أَيُّهَا المُسْرَى بِهِ لِلْمَسْجِدِ ... الأَقْصَى أَضَاعَ خِلاَفُنَا مَسْرَاكَا

كُنْتَ الإِمَامَ لِكُلِّ صَاحِبِ دَعْوَةٍ ... وَالْيَوْمَ وَاقِعُنَا يَضِلُّ رُؤَاكَا

خَارَتْ عَزَائِمُنَا وَغَاضَ يَقِينُنَا ... وَتَشَبَّعَتْ أَيَّامُنَا بِسِوَاكَا

حَتَّى فَقَدْنَا طَعْمَ كُلِّ حَقِيقَةٍ ... أَمِنَ الْيَسِيرِ الْيَوْمَ أَنْ نَنْسَاكَا

وَلَقَدْ نُسِينَا وَالْهَوَانُ سَعَى بِنَا ... لِلذِّكْرَيَاتِ وَلَمْ نَعِشْ ذِكْرَاكَا

حَتَّى غَدَوْنَا لِلذِّئَابِ فَرِيسَةً ... وَالْغَابُ شِرْعَةُ كُلِّ مَنْ عَادَاكَا

أَنَظَـلُّ فِـي قَلْـبِ الْجَلِيـدِ بِـلاَ هُـدىً يُحْيِـي مَـوَاتَ قُلُوبُنَـا لِتَرَاكَـا؟

فَـالْحِلْمُ يَسْـخَرُ مِـنْ تَبَلُّـدِ رُوحِنَـا وَالأَمْنِيَّـاتُ أَسِـيرَةٌ لِرِضَـاكَا

فَمَتَـى رِضَـاؤُكَ عَـنْ بَقَايَـا أُمَّـةٍ فَقَـدَتْ حَصَـانَتَهَا وَفَـيْضَ رُؤَاكَـا؟

غَابَـتْ وَرَاءَ الشَّـمْسِ وَهِـيَ حَسِـيرَةٌ لَـمْ تَسْـتَجِبْ فِـي بَأْسِـهَا لِهُـدَاكَا

يتحدث الشاعر في هذه الفكرة عن المسجد الأقصى مسرى الرسول الكريم ، ووقعه تحت وطأة الاحتلال ، والسبب وراء كل هذا هو الخلاف بين المسلمين وضعف عزائمهم وانشغالهم بالأمور التافهة، وكل هذا سببه بعدهم عن منهج الله فيستهل فكرته بالنداء(يَا أَيُّهَا المُسْرَى بِهِ) والنداء بـ(يا) بيان لمكانة الرسول العالية فهو بعيد عنا قريب في قلوبنا ، وناسب امتداد الصوت الناشئ عن المد في حرف النداء هذه المكانة السامية لخير البشر، فـ(أي) مبهمة تفسيرها(المُسْرَى بِهِ) ، و(ها) للتنبيه ، والنداء بهذه الصيغة (يَا أَيُّهَا) دلالة على أن الشاعر ينادى الرسول(ﷺ)لأمر عظيم يؤرقه وهو انتهاك حرمة المسجد الأقصى ، فهو ليس كأي مسجد فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى رسولنا الكريم(ﷺ) وقوله:(المُسْرَى بِهِ) كناية عن النبي العظيم ، وذكره الشاعر بهذه الصفة لإثارة المشاعر، وللتنبيه على أهمية تلك البقعة المباركة ، ثم يعبر الشاعر عن الواقع الأليم بجملته الخبرية(أَضَاعَ خِلاَفُنَا مَسْرَاكَا) التي تعكس حزن الشاعر وحسرته وكأنه يعترف في حضرة الرسول الكريم بهذا التقصير في هذه البقعة المقدسة بسبب الخلاف والتشرذم، والفعل الماضي(أَضَاعَ) أكد وقوع هذا الضياع ، وإسناد الضياع للخلاف مجاز عقلي علاقته السببية ، فالخلاف ليس هو الفاعل للضياع ولكنه هو المتسبب فيه ، وهذا المجاز

أدى المعنى بإيجاز بالإضافة إلى أنه أثار الخيال عندما أسند الفعل إلى غير فاعله، وتلوين العبارة [1]، كما جاء بجناس اشتقاق، بين قوله: (المُسْرَى بِهِ)، و(مَسْرَاكَا) وهو ملحق بالجناس وليس منه لوجوب اختلاف المعنى في الجناس ، وهنا قد جمع اللفظين اشتقاق واحد وهو(الإسراء) ، وهذا الاشتقاق كان له أثر في المعنى من حيث حسن الإفادة ، وفيه خلابة للأذهان ، ومفاجأة تثير الذهن وتقوى الإدراك للمعنى المقصود عن طريق تكرار اللفظ الذي قد أدى المعنى ووفاه وهو التأكيد على الصلة القوية بين الرسول والمسجد الأقصى ، بالإضافة إلى الموسيقى المؤثرة التي تؤثر في النفس ، ومزاوجة الشاعر بين الأسلوب الإنشائي والخبري يعكس مشاعره المتأججة ، وحزنه الكامن بداخلة ولم يستطع كبته ، وبعد هذا الإجمال الذي جاء به الشاعر في كلمة(خلافنا) بدأ كعادته يفصل لنا مظاهر هذا الخلاف وكانت أول مظاهره :

١- كثرة الأحزاب والتقسيمات والتفرق بين أبناء الأمة ، فجاء الشاعر بقوله:(كُنْتَ الإِمَامَ لِكُلِّ صَاحِبِ دَعْوَةٍ) وهى كناية عن الاتحاد والتكاتف والسير على المنهج النبوي في العصور الماضية ، ودخول لفظ العموم (كل)يدل على أنه منهج إمامه واحد وهو الرسول وكل صاحب دعوة يستمد دعوته من هذا المنهج القويم ، ثم يأتي في الشطر الثاني بقوله:(وَالْيَوْمَ وَاقِعُنَا يَضِلُّ رُوَّاكَا) وهى كناية عن التفرق والتشتت وكثرة التقسيمات والجماعات التي أصبحت فيها الأمة في عصرنا الحالي بعد هذا الاتحاد واتخاذ أئمة

(١) يراجع: علم المعاني دراسة بلاغية (٧٨/١) د/ بسيوني فيود.

أخرى غير الرسول(ﷺ) فعبر الشاعر عن الماضي في الشطر الأول بالفعل(كنت)، والحاضر بلفظ (الْيَوْمَ)، وجاء بلفظ (الْيَوْمَ) معرفاً ليبيِّن لنا حاله وهو(وَاقِعُنَا يَضِلُّ رُؤَاكَا) وإسناد الضلال للواقع مجاز عقلي علاقته الزمانية ، فالواقع لا يضل المبادئ والتعاليم ، ولكنه زمن يعيش فيه من يضل هذه الرؤى ، وهذا المجاز أظهر لنا شيوع هذا البعد عن سنة النبي الكريم ، وكأن الواقع والزمن نفسه شارك في هذا البعد، وقد فصل الشاعر بين هذا البيت والسابق له لما بينهما من ترابط لأن هذا البيت بمثابة إجابة وبيان لمظاهر هذا الخلاف الذي تحدث عنه الشاعر في البيت السابق، والسر شبه كمال الاتصال، ويأتي الشاعر ويبيِّن نتيجة البعد عن مبادئ وتعاليم الرسول في البيت التالي ، وهو أيضاً يعد من مظاهر الخلاف ، وهذه النتيجة تتمثل فيه .

٢- خور العزائم وضعف اليقين ، فيقول الشاعر(خَارَتْ عَزَائِمُنَا وَغَاضَ يَقِينُنَا) وهذه كناية عن ضعف المسلمين وهوانهم ، وعبر الشاعر بالفعل الماضي(خَارَتْ، غَاضَ) للدلالة على تحقق هذا الضعف وهذه القلة ، فالعزائم ضعفت ، وجفَّ اليقين وهذا بسبب البعد عن منهج الله وهذا ما عبَّر عنه الشاعر في بيته السابق بقوله:(يَضِلُّ رُؤَاكَا) ، وجاء في قوله:(غَاضَ يَقِينُنَا) استعارة مكنية حيث شبه اليقين ببحر متلاطم الأمواج ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو الفعل:(غَاضَ)لأن الغيض من خصائص الماء ، وهذه الاستعارة جسدت لنا المعنى في صورة بيانية رائعة حيث جعلت لنا اليقين في صورة بحر جفَّ ماؤه ، وكذلك يقيننا قد قلَّ وجف كما

يجف البحر، وليس هذا فحسب ، ولكن مُلئت أيامنا بسواه(ﷺ) فيقول الشاعر(وَتَشَبَّعَتْ أَيَّامُنَا بِسِوَاكَا) والفعل(تَشَبَّعَتْ)أي بلغت أقصاها بغيرك يا رسول الله ، وهذا الفعل والتضعيف الذي فيه يدل على كثرته وتزايده ، وحرف(الشين) وصفته من التفشي أكد على انتشار هذا التَّشبع وتفشيه في عصرنا الحالي ، وجاءت (الباء) في(بِسِوَاكَا) لبيان مدى التصاق هذا التشبع بغير الرسول الكريم ، وبعد أن وضح لنا الشاعر في الأبيات السابقة أهم نقاط ضعف الأمة، ومظاهره بدأ يوضح لنا النتائج السيئة التي ترتبت على هذه المقدمات ، وهى تتمثل في :

١- فقدان طعم النصر لأن الأمة لم تتذوقه منذ أمد بعيد ، وظهر ذلك من خلال قوله:(حَتَّى فَقَدْنَا طَعْمَ كُلِّ حَقِيقَةٍ) و(حتى) هنا غائية أي كثر خلافنا وخارت عزائمنا ، وقلَّ يقيننا وتمسكنا بغير منهجنا السوي إلى أن فقدنا طعم كل حقيقة ، والمراد بها النصر، والفعل الماضي(فقدنا) أكد على تحقق هذا الفقد ، بالإضافة إلى دخول لفظ (كل) على(حَقِيقَةٍ) فقد عمَّم الفقد لطعم أي حقيقة ، وهذه كناية عن غياب الحق والنصر منذ أن بعدنا عن المنهج السليم ، وجاء في قوله:(طَعْمَ كُلِّ حَقِيقَةٍ) تراسل حواس فالحقيقة المراد بها النصر ليس لها طعم ولكنها تدرك بالعقل ، ولكن جعل الشاعر لها طعماً وفقد المسلمون هذا الطعم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اندماج الشاعر في معايشته لتجربته الشعرية ، وبخاصة أنه يتحدث عن واقع أمته ، وهو ينصهر معها في تلك الأحزان فهذا المنزع في

تراسل الحواس يدل على(تعمق الشاعر لتجربته ، وبحثه عن الصيغ الجديدة ، ورغبته في تجاوز المدركات العادية ، والبحث عن علاقات جديدة بين الكلمات تنبع من سياق تجربته والجو النفسي لها) [1]، ثم يأتي الشاعر في الشطر الثاني متعجباً من وضعنا وحالنا نحن المسلمون فيقول:

(أَمِنَ الْيَسِيرِ الْيَوْمَ أَنْ نَنْسَاكَا؟) وهذا استفهام إنكاري تشوبه الحيرة والتعجب ، فالشاعر يتعجب كيف ننسى هذا الهدى النبوي ؟بعد أن رأينا الحق والعدل فيه ، وهو سر سعادتنا وتقدمنا ، كما ينكر أن نفعل هذا فهو ليس هيِّناً علينا ، والشطر كناية عن التفجع والحسرة التي يعانى منها الشاعر ، وهذا النسيان المتمثل في البعد عن المنهج القويم يترتب عليه الضعف والهوان ، وهذا ما يتحدث عنه الشاعر في البيت التالي، وهى ثاني النتائج السيئة المترتبة على ضعف الأمة وتفرقها، وهى:

٢- أصبحت أمة الإسلام أمة منسية مهينة ، فيقول:(وَلَقَدْ نُسِينَا وَالْهَوَانُ سَعَى بِنَا)، ويؤكد الشاعر على هذه الحقيقة من خلال(لام التأكيد) الداخلة على (قد) والفعل المبنى للمجهول ، والذي يوحى بعموم النسيان وشموله لكل جوانب الأمة من قِبلِ العالم فأصبحت الأمة في طي النسيان بسبب البعد عن الطريق

(١) يراجع: شعراء وتجارب ، د/ صابر عبد الدايم ١٩٩٣، دار الوفاء ، الأسكندرية ص(١٦٧) (بتصرف).

المستقيم ، وبسبب هذا النسيان سرى بنا الضعف إلى أننا أصبحنا نعيش ذكريات غير حقيقة تسرى في خيالنا، وظهر هذا من خلال إسناد فعل السعي إلى الهوان في قوله:(وَالْهَوَانُ سَعَى بِنَا) فالهوان يقود الأمة ، وهى تستجيب دون مقومات كاستجابة الضرير لمن يقوده ، وهذه الجملة كناية عن العجز التام للأمة وفقدها لإرادتها ، والفعل الماضي أكد على وقوع هذا السعي الدال على العجز، وبذلك أدت الكناية دورها في الدعوى مع مصاحبتها لدليلها وبرهانها ،فسعينا سعى الخاملين الحالمين بالنصر والمجد ولا يأخذون بأسباب الوصول إليه ، ولكن يعيشون في ذكريات من واقع خيالهم يسعى الهوان بهم إليها ،وهذا ما أكد عليه الشاعر من خلال قوله:(وَلَمْ نَعِشْ ذِكْرَاكَا) فالشاعر ينفى تحقيق العيش في هذه الذكريات الحقيقية المتمثلة في هذا المنهج القويم وما يصاحبه من نصر، ونفى الشاعر بـ(لم) ليفيد أننا لم نعش هذه الذكرى الحقيقة في جميع مراحلها حيث إن (لم) لنفى الحدث في مرحلته الأولى وأصل الحدث بالإضافة إلى أن النفي بـ(لم) يحتاج إلى سرعة في نطقها وهى وخزه سريعة يتنبه المخاطب من خلالها على قصد الشاعر، وهى أعون على توصيل المقصود من أقرب طريق [1]، والمقصود أننا لم نحاول تحقيق هذه الذكريات ولو لفترة ولكننا لم نقِّدم عليها إلا بالأحلام فقط ، وكرر الشاعر لفظ(الذكريات)

(١) يراجع: بحث بلاغي بعنوان حروف المعاني وبلاغة النص د/ صلاح الدين محمد أحمد ص(٥٦) (بتصرف).

مرتين ففي المرة الأولى أراد بها ذكريات غير حقيقة سعى الضعف بنا إليها ، ولكن المرة الثانية أراد بها الذكريات الحقيقية للمجد ولكنها ذكريات خلت من النبض الحقيقي لتحقيقها ، ويوضح الشاعر أننا بسبب هذا النسيان للمنهج القويم نسينا العالم ، وأصبح العالم ينظر إلينا على أننا فريسة وصيد سهل الحصول عليه ، وهذا ما يتحدث عليه في البيت التالي وفى الوقت نفسه تعد من النتائج السيئة المترتبة على ضعف الأمة وتفرقها، وهى:

٣- أن أمة الإسلام أصبحت نهباً للأمم الأخرى ، وعبر عن هذا بقوله:(حَتَّى غَدَوْنَا لِلذِّئَابِ فَرِيسَةً) وحتى هنا بمعنى (إلى) أي هذه نهايتنا فهي نتيجة لها مقدمة لم تأت من فراغ وهو الذل والهوان ، وجاء لفظ(غَدَوْنَا) يؤكد على أننا أصبحنا كذلك منذ فجر أن تركنا سنة النبي العظيم، والغُدْوة بالضم البُكْرَة ما بين صَلاةِ الغَداة وطلُوعِ الشمس(١)، والمادة تدور حول التبكير ، ويراد بها هنا تبكير العدو في افتراسنا ، واستخدمها الشاعر في الدلالة على أننا أصبحنا فريسة للأعداء منذ الوقت الأول الذي تركنا فيه منهج النبي وسنته، كما استعار الشاعر لفظ (الذِّئَابِ) للأعداء وكل من يتربص بالإسلام استعارة تصريحية أصلية وجاء لفظ (فَرِيسَةً) ترشيح للاستعارة، وهذه الاستعارة جسدت لنا هذا العدو ، ووضحت لنا المبالغة في وصفه بالمكر والخداع

(١) اللسان: مادة (غدا).

، وقام قوله:(لِلذِّئَابِ فَرِيسَةً)على التشبيه البليغ ، وهو تشبيه أمة الإسلام بالفريسة للذئاب ، وهذه كناية عن الهوان والخضوع وأننا أصبحنا مطمع العالم لتفرقنا وبعدنا عن المنهج القويم ، ويأتي الشاعر بالشطر الثاني تأكيداً وتوضيحاً لمعنى البيت الأول، فيقول:(وَالْغَابُ شِرْعَةُ كُلِّ مَنْ عَادَاكَا) وهذه كناية عن الحياة التي يعيشها كل من عادى رسول الله ، وهى حياة الغاب فهي حياة لا نظام فيها خالية من المبادئ والقيم ، كما أن فيه إشارة إلى ذم وتحقير أعداء الدين ، فكل من عادى رسولنا فمثله مثل الحيوان الأعجم الذي يعيش في الغاب لا عقل له ولا نظام ولا قانون يحكمه، ونكر لفظ (شِرْعَةُ) لتحقير هذه الحياة التي تقوم على نهب الأمم وسلب حرياتها ونلاحظ مراعاة النظير في هذا البيت من خلال الجمع بين الألفاظ (لِلذِّئَابِ ، فَرِيسَةً، الْغَابُ) وهذا الجمع بين الألفاظ المتناسبة ساعدت على اكتمال الصورة ووضوح المعنى .

ويتحسر الشاعر على تبلد الأرواح فيأتي باستفهام تشع منه نبرة الحسرة والألم فيقول:(أَنَظَلُّ فِي قَلْبِ الْجَلِيدِ بِلاَ هُدىً؟) فالشاعر يتفجع ويتعجب وينكر هذا الذل الخانع الذي أصبح فيه المسلمون ، ويستبطئ مجيء اليقظة من هذا السبات العميق ، والإتيان بمثل هذا الأسلوب الإنشائي فيه إثارة للمشاعر وشحذ للهمم ، ودعوة صادقة للمؤمنين بالتحرر والخروج من هذا التجمد ، وقوله:(قَلْبِ الْجَلِيدِ) هو تعبير رمزي كناية عن التجمد وعدم الحركة وعدم وجود روح تنبض بالهدى الحقيقي الذي

هو سبب النصر، فجاء بلفظ(هدى) نكرة لتعظيمه هذا الهدى وبيان صفته أنه يحيى القلوب بعد موتها ، وتعبيره بلفظ (القلب) دلالة على أن التجمد يحيطنا من كل جانب ، فنحن في قلبه وانغمسنا فيه ، وفى وقوله:(مَوَاتَ قُلُوبُنَا) كناية عن بُعد هذه القلوب عن الحق والهدى حتى أصبحت مواتاً لا حياة فيها ، وجاء الشاعر يوضح أن استمرارنا على هذه الحالة من التجمد المعنوي يَحُول بيننا وبين رؤية الطريق الحق المتمثلة في مبادئه وسنته(ﷺ)، ولا تتحقق لنا الرؤية لهذه المُثُل إلا بعد أن نتحرر من هذه الحالة من التجمد ، فجاء الشاعر بتراسل حواس في قوله:(قُلُوبُنَا لِتَرَاكَا) فالقلوب لا ترى ولكن العين هي مختصة بحاسة الرؤية ، وهذه دعوة لصلاح القلوب لأنها إذا صلحت صلح باقي الجسد ، لذا ربط الشاعر بين(الهدى) (وحياة القلوب) لأنها مرتعه الخصب وميدانه الفسيح .

وبعد أن وضح لنا الشاعر حال المسلمين وما هم عليه من التجمد يرسم لنا صورة بيانية رائعة ، فيقول:

فَالْحُلْمُ يَسْخَرُ مِنْ تَبَلُّدِ رُوحِنَا وَالأُمْنِيَّاتُ أَسِيرَةٌ لِرِضَاكَا!

وربط الشاعر بين هذا البيت والسابق له لما بينهما من اتصال فهذا البيت وسخرية الحُلم من حال المسلمين نتيجة مترتبة على موت قلوبهم وبعدهم عن منهج الله ، وحالهم من التجمد واليأس، وهنا جاء شاعرنا بصورة بيانية رائعة فيها بعث للهمم ولفت للأذهان تمثل في الاستعارة المكنية القائمة

على التشخيص حيث شبه الحلم بإنسان، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهى(السخرية) سبيل الاستعارة المكنية ، والتي جسدت الحلم وجعلته يحس ويسخر من حالنا ، فنحن عاجزون عن تحقيقه فهو حبيس أذهاننا ، ولم يكتب له الخروج إلى النور بسبب تبلد الأرواح ، وأدى الفعل المضارع دوره في الدلالة على تجدد واستمرار هذه السخرية وقوله:(تَبَلِّدِ رُوحِنَا) كناية عن تجمد المشاعر وفقد الإحساس والإدراك لأرواحنا فأصبحنا لا نتأثر بما يحدث حولنا ، وخص الأرواح بالتبلد لأنها مصدر الشعور والتوثب ، وبها تتحقق الأمنيات ، وينال الجسم أعلى الدرجات ، ثم يأتي الشاعر في الشطر الثاني محدداً مصير تلك الأمنيات فيقول:(وَالأُمْنِيَّاتُ أَسِيرَةٌ لِرِضَاكَا) وهنا يؤكد الشاعر أن علينا ضرورة الرجوع إلى المنهج السليم لأنَّ أمنياتنا لا تتحقق إلا برضاه(ﷺ) ورضاه لا يتحقق إلا بالالتزام بهذا المنهج المتمثل في تعاليم الإسلام ، وهنا جمع الشاعر بين الشطرين بـ(الواو) لتوحد الجو الشعوري من الحزن والألم بين الحلم والأمنيات ، وجاء بصورة بيانية تكشف ، وتوضح هذا المعنى ، حيث شبه الأمنيات بإنسان يعانى الذل والأسر ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو(أسيرة) على سبيل الاستعارة المكنية ، والتي جسدت وشخصت الأمنيات في صورة إنسان يعيش معاناة الأسر، وأوقف عتقها على تقديم الفدية ، وهى رضا الرسول الكريم عن تلك الأمنيات ، وهذه الصورة ملائمة لعنوان القصيدة ،

ومضمونها ، ونفسية الشاعر التي تدندن حوله من بداية القصيدة ، وهذا الشطر فيه دعوة لتحقيق الأمنيات والأخذ بأسباب هذا التحقيق، وقوله:(أَسِيرَةٌ) صيغة مبالغة على وزن (فعيل) تؤكد على المبالغة في بُعد هذه الأمنيات عن التحقيق ، فهي مازالت مقيدة لا يفك أسرها ،لأننا مازلنا لم نفك هذا الأسر بإتباع المنهج الحق ، وجمع الشاعر بين (اَلْحِلْمُ وَالأُمْنِيَّاتُ) فيه مراعاة نظير ، وبيان الشاعر لموقفهما من حال المسلمين وهى أمور معقولة وليست حسية فيه دلالة على حالة الهوان والضعف التي يعيشها المسلمون حتى جعلت هذه المعقولات تشاركنا أحزاننا ، وتسخر من أفعالنا ، كما سخر منا عدونا واتخذنا فريسة له، والأبيات تشعُّ منها نبرة الألم والحزن على هذا الضعف ، ويحنُّ الشاعر للطريق المستقيم ، محاولة منه في رضا الله ورسوله ، وهذا ما يحاول التعبير عنه في الفكرة التالية ، وهو استعطاف الرسول وطلب رضاه حتى تتحقق الأمنيات والأحلام.

المبحث الخامس

استعطاف ورجاء (٤٣- ٥٢)

فَمَتَـى رِضَـاؤُكَ عَـنْ بَقَايَـا أَمَّـةٍ ... فَقَـدَتْ حَصَـانَتَهَا وَفَـيْضَ رُؤَاكَـا؟

غَابَـتْ وَرَاءَ الشَّـمْسِ وَهِـيَ حَسِـيرَةٌ ... لَـمْ تَسْـتَجِبْ فِـي بَأْسِـهَا لِهُـدَاكَا

يَـا سَـيِّدِي والشَّـمْسُ بَعْضُ ضِـيَاكَا ... هَـلْ تُطْفِـئُ الـرِّيحُ الْعَقِـيمُ سَـنَاكَا؟

تَتَسَـابَقُ الأَقْمَـارُ فِـي أَفْلاَكِهَـا ... سَـعْياً إِلَيْـكَ وَتَحْتَمِـي بِحِمَاكَـا

مَـاذَا أَقُـولُ لِكُـلِّ مَـنْ عَادَاكَـا؟ ... عُمْـيٌ وَصُـمٌّ يُـدْمِنُونَ جَفَاكَـا؟

مَـاذَا أَضِـيءُ وَلَـيْسَ حَـوْلِي ومَضَـةً أَسْـمُو بِهَـدْيٍ رَجَائِهَـا لِعُلاَكَـا؟
أَأَرَدِّدُ النّـبْضَ الْقَـدِيمَ وَفِـي دَمِـي بَكْـرُ الـرُّؤَى نَضَـجَتْ بِنَـارِ هَوَاكَـا؟
لَكِـنَّ بُرْكَـانَ الْهَـوَى فِـي خَـاطِرِي مَـا زَالَ لاَ يَـدْرِي مَتَـى يَلْقَاكَـا؟
أَيْـنَ الطَّرِيـقُ إِلَيْـكَ فِـي زَمَـنٍ تَنَـافَسَ كُـلُّ مَـا فِيـهِ لِمَحْـوِ خُطَاكَـا
لَكِنّهَـا فِـي الأَرْضِ أَصْـلٌ ثَابِـتٌ وَفُرُوعُهَـا تَتَبَـوَّأُ الأَفْلاَكَـا

فالشاعر يستهل فكرته بالأسلوب الإنشائي والذي يؤدى معنى الاستبطاء[1]من خلال الاستفهام المجازى في قوله:(فَمَتَى رِضَاؤُكَ عَنْ بَقَايَا أُمَّةٍ؟) فـ(متى) اسم استفهام يسأل به عن الزمان[2] ولكن جاء في البيت يحمل معنى(الاستبطاء والتلهف) (فَمَتَى رِضَاؤُكَ) استبطاء لزمن رضا الرسول الكريم عنا ، واستطالة لزمن الضعف والهوان ، وإظهار الرغبة في الرضا واللهفة عليه ، مع جذب انتباه السامع ، ودعوته لمشاركة الشاعر في الموقف الذي يعيشه ، وعبر الشاعر بقوله:(عَنْ بَقَايَا أُمَّةٍ؟) كناية عن التشرذم والتفرق حتى لم نكن أمة كاملة ، فالذي يلتزم بتعاليم الإسلام ما هم إلا قلة قليلة، ولكنها مازالت متمسكة بأهداب الطريق ، وجاءت جملة(فَقَدَتْ حَصَانَتَهَا وَفَيْضَ رُؤَاكَا) وصف لهذه الأمة فمن صفاتها أنها فقدت حصانتها ، أي مؤهلات وأسباب حمايتها من أي أذى وهذه الحصانة متمثلة في (القرآن الكريم والسنة النبوية) فهجرنا لمصدري التشريع ترتب عليه ضياع هذه الحماية ، ولا نسترد هذه الحصانة إلا بالعود الحميد لهذا الهدى

(١) الاستبطاء: هو عد الشيء بطيئا في زمن انتظاره. ومنه قوله تعالى:(مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) البقرة٢١٤ . يراجع: المطول (٤١٩).
(٢) يراجع: الإيضاح(٦٧/٣).

الربَّاني ، وقوله:

(وَفَـيْضَ رُؤَاكَـا) كنايـة عـن الاشـراقات النبويـة ، وجـاء العطـف بـ(الواو) لأن هذه الرؤى مشتركة مع الحصانة في الفقد ، وهو من عطف الخـاص علـى العـام ، فـرؤى الرسول جـزء من المـنهج السـليم ، ثـم يـذكر الشـاعر النتيجـة المترتبـة علـى فقـد هـذه الحصـانة فيقـول:(غَابَـتْ وَرَاءَ الشَّمْسِ وَهِيَ حَسِيرَةٌ) وهذه كناية عن ذهاب الأمة في الظلام المجهول فقد ضـلت الطريـق ، لأن الشـمس رمـز الحيـاة والـذهاب وراءهـا وغيابهـا عـن المخلوقـات إيـذان بالفنـاء ، فالأمـة ذهبـت لهـذا المجهـول الـذي لا يـدرى معالمه، والفعل الماضي أكد على هذا الغياب، كمـا جـاءت جملـة الحـال(وَهِيَ حَسِـيرَةٌ) لتبـين حـال الأمـة مـن الحسـرة والألـم ، كمـا أن التعبيـر عنهـا بالاسمية دلل على ثبات هذه الحسرة ودوامها لبعد الأمة عن منهج الله ، والتعبير بصيغة المبالغة (حسيرة) على وزن(فعيل) دلـت علـى شدة هذه الحسرة وكثرتهـا ، كمـا أن ذكـر المسند إليـه (هي) من أجل تقرير المعنـى وإيضـاحه ، وبيـان ثبـوت هـذه الحسـرة للأمـة لأنـهـا لـم تسـتجب فـي شـدتها لهدى الله ورسوله ، ولو أنها استجابت لم يكن هذا حالها من الحسرة لذا فصـل الشـاعر بـين جملـة (غَابَـتْ وَرَاءَ الشَّـمْسِ وَهِـيَ حَسِـيرَةٌ) ، وجملـة (لَمْ تَسْتَجِبْ فِـي بَأْسِـهَا لِهُدَاكَا) لأن الثانيـة بمثابـة جواب عن سؤال أثارتـه الجملة الأولى وهو لماذا غابـت وراء الشـمس ومـا سـبب تحسـرها؟ فكانـت الإجابة لأنـها لم تستجب في شدتها لهدى الله ، والسر شبه كمـال الاتصـال ، واسـتخدم الشـاعر(لم) فـي النفـي للدلالـة علـى نفـى الحـدث مـن أصـله وهـى الاسـتجابة ، فهـي نفـت الاسـتجابة فـى مرحلتهـا الأولـى ، كمـا أنهـا نفـت الاستجابة في الماضي ، فبالتالي لم تمتد للحاضر ، وهذه كناية عن الجمود

والجهل الذي سيطر على الأمة حتى لم تستجب في شدتها لهدى نبيها حتى تصبح شدتها رخاء ثم يلح على الشاعر فكرة سيادة الرسول وأنه الضياء والسنا للكون ، وهذا يعكس حنينه وشوقه الجارف لارتياد الطريق القويم فيكرر هذين البيتين :

يَـا سَـيِّدِي والشَّـمْسُ بَعْـضُ ضِـيَاكَا هَـلْ تُطْفِـئُ الـرِّيحُ الْعَقِـيمُ سَـنَاكَا؟

تَتَسَـــابَقُ الأَقْمَـــارُ فِـــي أَفْلاَكِهَـــا سَـعْياً ً إِلَيْـكَ وَتَحْتَمِـي بِحِمَاكَـا!

والتكرار هنا أدى دوره في الربط بين الأفكار، والتكرار في حقيقته إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها[1]،كما فيها تذكير بالهدف الأساسي من القصيدة وهى بيان مكانة الرسول العالية ، فكانت القصيدة كالدائرة التي تتلاقى أطرافها ، ثم بعد ذلك يأتي الشاعر بصورة رائعة لكل المسيئين إلى صاحب (الطريق)(ﷺ) فيقول:

مَـاذَا أَقُـولُ لِكُـلِّ مَـنْ عَادَاكَـا؟ عُمْـيٌ وَصُـمٌّ يُـدْمِنُونَ جَفَاكَـا

فجاء هذا الأسلوب الإنشائي ليكشف عن حيرة الشاعر وتردده في وصف هؤلاء وما أجمل هذا الاستغراق والشمول في قوله:(لِكُلِّ مَنْ عَادَاكَا) ، ونلاحظ حذف المسند إليه في قوله:(عُمْيٌ وَصُمٌّ) لغرض الإيجاز وضيق المقام بسبب حالة الحزن والحسرة التي تسيطر على الشاعر ، كما فيه صون للسان عن ذكر هؤلاء لأن المقام مقام ذم لهؤلاء واستنكار لأفعالهم، كما في قوله:(عُمْيٌ وَصُمٌّ) استعارة تصريحية أصلية حيث استعارة لفظ العمى والصم لهؤلاء المسيئين للرسول الكريم فهم عميت

(١) يراجع :الإبداع الفني(٢١٨) (بتصرف).

أبصارهم عن رؤية الحق وصمت آذانهم عن سماعه و(التنوين) فى هذين اللفظين أكد على حدوث العمى والصمم، كما أن هذه الجملة فيها تأثر بقول الله تعالى:﴿ث ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ﴾(١)، ثم يوضح الشاعر السبب الرئيسي في هذا العمى ، وهذا الصمم بأسلوب خبري بليغ (يُدْمِنُونَ جَفَاكَا) فالخبرية أدت دورها بأن هذه حقيقة لا يمكن إنكارها ، والفعل المضارع أدى دوره في بيان استمرارية هذا الإدمان وتجدده واختيار الشاعر الفعل(يدمنون) فيه إقرار بأنهم يفعلون ذلك ويقومون بهذا العداء لأنهم يسيرون وراء مسلمات غير دقيقة ، فالمدمن يرى الباطل حقاً ، ومقتنع بغيه وضلاله ، وهذا الإدمان متعلق بجفاء الرسول، وهذه كناية عن مدى حقدهم على الرسول الكريم ، وأنهم بعيدون عن صفاته وشمائله ولو أنهم رجعوا لصفاته (ﷺ) قبل البعثة وبعدها لوجدوا طريقه متين البناء قوى الأركان.

وتستمر حيرة الشاعر وتحسره على حال المسلمين محاولاً في الوقت نفسه التقرب واستعطاف الرسول الكريم فيقول:

مَاذَا أَضِيءُ وَلَيْسَ حَوْلِي ومَضَةٌ أَسْمُو بِهَدْيِ رَجَائِهَا لِعُلاَكَا؟

وهذا الاستفهام فيه إشارة لمظاهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، فالشاعر يقول إنه في ذكرى مولدك يا رسول الله لم أجد حولي ما يشجعني على السمو لهداك فجاء الاستفهام ليؤدى معنى الحيرة والحسرة ، فالشاعر يريد بالومضة هنا من(الوميض) وهو من لمعان البرق وكل شيء

(١) سورة البقرة: الآية :(١٨).

صافي اللون[1]، واستعار الشاعر هذا اللفظ لطريق الالتزام ، وأراد أن يعبر به الشاعر عن الشعاع النوراني الذي يهدى الطريق ، فالشاعر لا يبحث عن أي شيء ليسمو به إلى الرسول الكريم في يوم مولده سوى الصدق الديني وإتباع المنهج السليم وهو شيء افتقدناه في عصرنا، لذا كان البيت كناية عن انعدام الالتزام بالمنهج السوي ، والشاعر في هذا الشطر مزج بين الأسلوبين الإنشائي والخبري ، فعندما أراد أن يعبر عن حيرته لجأ للأسلوب الإنشائي الذي ينقل للمتلقي هذه الحيرة ، وعندما أراد أن يخبر عن حقيقة ، وهى بعد المسلمين عن منهجهم القويم لجأ للأسلوب الخبري الذي يساعده على أداء هذا المعنى ، كما أنه يكشف عن عاطفته المتأججة ، ونكر لفظ (ومضة) للتقليل، فالشاعر افتقد أيسر الأشياء في واقعه للوصول إلى الرسول الكريم (ﷺ) ويأتي الشاعر ليبين ما الذي يريد أن يفعله بهذه الومضة فكانت الإجابة (أَسْمُو بِهَدْيِ رَجَائِهَا لِعُلاَكَا) لذا فصل بين الشطرين لما بينهما من اتصال وترابط لكمال الانقطاع لاختلاف الجملتين إنشاءً وخبراً ، وفى الجمع بين (هدى ، رجاء ، علاكا) مراعاة نظير فكلها ألفظ تدل على المناجاة والدعاء ، وهذا البيت فيه دعوة إلى تجديد الخطاب الديني وإتباع طرق جديدة في نشر الدين ، وكلها مستمدة من الأصول المتمثلة في القرآن والسنة، وهذا الذي يشير إليه الشاعر ويفتقده حوله ، وهذا الذي يتحدث عنه الشاعر في بيته التالي ، فيقول :

أَأَرَدِّدُ النَّبْضَ الْقَدِيمَ وَفِي دَمِي بِكْرُ الرُّؤَى نَضَجَتْ بِنَارِ هَوَاكَا؟

ومازال الشاعر مستمراً في تساؤلاته التي تكشف عن صدق

---

(١) اللسان مادة (ومض).

عاطفته فيستنكر من خلال الاستفهام المجازى أن يظل يتحدث عما مضى ، مع أنه تجرى في دمه الأفكار البكر والرؤى الجديدة والمستمدة من الهدى النبوي ، وقوله:(النَّبْضَ الْقَدِيمَ) كناية عن الطرق القديمة والتقليدية في نشر الإسلام ، فالشاعر يدعو إلى إتباع طرق جديدة في نشر الدعوة ويؤكد على أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، وجاء تقديم الجار والمجرور(وَفِي دَمِي)لإفادة الاهتمام، وللإيحاء بأن معالم الطريق النبوي متأصلة في أعماق الشاعر وخلايا جسده، وهى تجرى منه كما يجرى الدم في العروق ، وخص الشاعر(الدم) لما له من شمول ونفع للكائنات كلها ، وجاء لفظ (الرُّؤَى) بصيغة الجمع للدلالة على كثرتها ، وأنها رؤى ناضجة وليست مشوهة أو قاصرة ، ثم يأتي شاعرنا ليبين حال هذه الرؤى فيقول: (نَضَجَتْ بِنَارِ هَوَاكَا) فالفعل الماضي يؤكد على نضوج هذه الرؤى الجديدة، ولكن نضوجها كان بنار الحب المحمدي ، فحب الرسول والامتثال لسنته كان العامل لتقويم هذه الرؤى وجعلها في صورة خالية من الشوائب والأفكار الهدَّامة ، فمحصتها ونقحتها ، ولعل هذا المعنى مستوحى من قول الله تعالى:﴿ ٱ ب ب ٻ ٻ پ﴾[1] فكما أن الله تعالى نقَّى المؤمنين من الذنوب كذلك هدى النبي وما في سنته من مبادئ وأفكار سامية نقَّت أفكار الشاعر الجديدة من الشوائب، فالسنة النبوية صالحة لكل زمان ومكان ، وقوله:(نَارِ هَوَاكَا) فيه تشبيه بليغ من إضافة المشبه به للمشبه ليظهر شده هذا الحب وقوته ، وهو أيضاً كناية عن شدة حب الشاعر للرسول الكريم وتعلقه به وهى مبنية على المجاز ، وعبر بلفظ (النار) لما فيه من

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٤١).

القوة الطاردة لكل الشوائب ، فالذهب يوضع في النار ليصبح ذهباً خالصاً ، وكذلك هذه الأفكار صارت خالصة نقية بنار الحب النبوي، وفى قوله:(بِكْرُ الرُّؤَى نَضَجَتْ) استعارة تبعية تصريحية في الفعل(نضجت) حيث شبه التهذيب بالنضج ، ثم استعار النضج للتهذيب ثم اشتق من النضج نضجت بمعنى هُذِّبت ونُقِّحتْ ، وقد أدت هذه الاستعارة دورها في التأكيد على دور الهدى النبوي في تهذيب الفكر والأخلاق ، وعبر عن المعنويات في صورة المحسوسات لتكون أشد لصوقاً بذهن السامع ، وقد أشاد الإمام عبد القاهر بهذه اللغة الحسية التصويرية التي تعبر عن هذه المعنويات بطريق المجاز فقال:

(فأَوَّلُ ذلك وأظهره، أنّ أُنْس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ، وتأتيها بصريح بعد مكنىٍّ، وأن تردَّها في الشيء تُعلِّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتُها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقُلها عن العقل إلى الإحساس وعما يُعلَم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفادَ من طرق الحواسِّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدِّ الضرورة، يفضلُ المستفاد من جهة النَّظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: ليس الخَبرُ كالمُعاينة، ولا الظنُّ كاليقين)[1]

ويسترسل الشاعر في وصف هذا الهوى فيقول مستدركاً:

لَكِنَّ بُرْكَانَ الْهَوَى فِي خَاطِرِي مَا زَالَ لاَ يَدْرِي مَتَى يَلْقَاكَا؟

(١) يراجع: أسرار البلاغة(١٢١، ١٢٢).

وهنا يشبه الشاعر ذلك الهوى والتعلق بالرسول الكريم بالبركان فى قوله:

(بُرْكَانَ الْهَوَى) من خلال إضافة المشبه به للمشبه ، وهذا التشبيه كشف عن مدى المعاناة والمحبة وشوق الشاعر إلى السير على الطريق الصحيح ، ولكنه لا يجد منفذاً فمثله مثل البركان تحت الأرض يحمل فيه الخيرات الكثيرة ولكنه يظل يسرى تحتها حتى يجد له منفذاً فيخرج ،لكن بركان الحب عند الشاعر يشبه البركان في قوته وشدته ولكن الشاعر يستبطئ خروجه متلهفاً لهذا الخروج ومازال يبحث عن منفذ حتى يظهر، وحدد الشاعر مكانه فقال (فِي خَاطِرِي) فهو في الخاطر الذي يشمل : الفكر وحديث النفس ، ومتعلقات الروح التي هي أساس كل حب ، ونور ، وخلق كريم ولكن الشاعر يستبطئ هذا اللقاء ، وخروج هذا البركان فيقول:

(مَا زَالَ لاَ يَدْرِي مَتَى يَلْقَاكَا؟) ومازال تفيد الاستمرارية ، وينفى بـ(لا) ليؤكد على عدم درايته بموعد هذا اللقاء ومتى يجد هذا البركان متنفسا ، فالشاعر يتلهف ويتشوق له ويستبطئ حدوثه لأنه المهيمن على خاطره ، وهو بمثابة الأشواق الجارفة لمعالم الطريق النبوي الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، ويختم الشاعر قصيدته بما استهل به القصيدة فيقول:

أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَيْكَ فِي زَمَنٍ تَنَافَسَ كُلُّ مَا فِيهِ لِمَحْوِ خُطَاكَا!

لَكِنَّهَا فِي الأَرْضِ أَصْلٌ ثَابِتٌ وَفُرُوعُهَا تَتَبَوَّأُ الأَفْلاَكَا!

فأراد الشاعر أن يؤكد على استمراره في البحث عن الطريق السديد الذي فيه رضا الله ورسوله حتى بعد كل هذه الأحزان والآلام التى تضمنتها القصيدة، وأن طريق الحق لابد أن ينتصر مهما كثرت المحاولات لطمسه ، والشريعة الإسلامية شجرة راسخة ترتوي منها كل الأرض ، وأن قيمها

تنتشر وتتزايد على مر الزمان ولكن علينا السعي والأخذ بالأسباب الموصلة إلى هذا الطريق والمحافظة عليها ، امتثالاً بخير البشر، وبهذا الختام برع الشاعر وأحسن انتهاء قصيدته بهذه النهاية الدافئة المليئة بالحب والشوق والرغبة في رضا الله ورسوله ، وهذا ما يسمى بحُسْنُ الانتهاءِ، وهو (أنْ يجعلَ المتكلِّمُ آخرَ كلامه، عذبَ اللفظِ، حسَنَ السبكِ ، صحيحَ المعنَى ، مشعراً بالتمامِ حتى تتحققَ براعةُ المقطعِ بحسنِ الختامِ، إذ هو آخرُ ما يبقى منهُ في الأسماعِ ، وربما حُفِظَ منْ بينِ سائر الكلامِ لقربِ العهدِ به)[1].

وفى النهاية نرى أن الشاعر قد رسم لنا بريشته توجهاته النفسية التي ولدت من رحم صراعه مع الحياة ، وهو شاعر مرهف الإحساس يكتب بقلبه وليس بقلمه ، وهذا يظهر من خلال القصيدة التي بين أيدينا حيث سيطر عليه عاطفة الحب الخالص للرسول الكريم ، كما سيطر عليه إحساس ضياع الأمة الإسلامية ومجدها ، فجلس يتأمل حال الأمة وما صارت إليه ، فلم يجد مخرجاً لكل هذه الأحزان سوى التشبث بالطريق السوي ، والقرب من خير البشر(ﷺ) وامتثال هديه ، فهذه الصورة التي رسمها الشاعر لأمته سيطر عليه فيها إحساس يجمع بين اليأس ، والرجاء في رضا خير البشر(ﷺ) ، والدعوة إلى حاضر أفضل والتمسك بشريعتنا فهي صالحة لكل زمان ومكان ، وكل هذه المعاني عبر عنها الشاعر في أسلوب بلاغي رائع تعاضدت فيه علوم البلاغة

(١) يراجع: جواهر البلاغة للهاشمي (٣٤٤).

معاني ، وبيان ، وبديع ، وساعدت على أداء الفكرة في شكل زاخر بالصور المفعمة بالحركة والجمال.

كما نلاحظ أن نظم القصيدة جاءت على بحر(الكامل) والذي تفعيلاته:(متفاعلن / متفاعلن/ متفاعلن** متفاعلن/ متفاعلن/ متفاعلن) وهو بحر فيه لون خاص من الموسيقى ، مع صلصلة تشبه صلصلة الأجراس ، كما فيه جزالة وحسن اطراد ، وهو من البحور الرصينة التي تصلح لمعاني الفخر ، ومقاصد الجد ، ولأن الشاعر يعيش حالة من الحزن على ما صار إليه المسلمون من بعد عن منهج الله وسنة نبيه فكانت نبضات قلبه بطيئة ، فاستخدم بحر(الكامل) الذي يشمل(٤٢) صوتاً مقطعياً ، وفيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر، فبذلك تتسع لنبضات قلب الشاعر، بالإضافة إلى طوله الذي يتناسب مع امتداد الطموحات العريضة ، والتي ينظر الشاعر إلى تحقيقها ، بالإضافة إلى اتساعه لمعاني المدح الذي أراد الشاعر أن يخبر بها عن الرسول الكريم (ﷺ).

ومن ناحية القافية فهي تشكل عنصراً مهماً من عناصر الإيقاع الشعري لما تضيفه إلى التعبير الشعري من قيمة موسيقية ، نتيجة لتكرار عدة أصوات في أواخر الأبيات في القصيدة ، وهنا يقول الدكتور إبراهيم أنيس:" إن تكرار القافية هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرب الآذان في فترات زمنية منتظمة ، وبعد عدد معين من المقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن ، وإن التزام حركة بعينها قبل

الروي مما يكسب القافية نغماً موسيقياً" [1]

لذا جاءت قافية القصيدة التي بين أيدينا متناغمة مع كل بيت على حده ، وارتباطه الوثيق بمضمون القصيدة ، وكأنها نتيجة طبيعية لما سبقها من جمل وتراكيب ، حيث جاءت القافية بـ(الكاف) وهو حرف مهموس يخرج من أقصى الحلق ، وهذا يتناسب مع مكانة الرسول الكريم (ﷺ)العالية الرفيعة، ويؤكد ذلك أن القافية مفتوحة ، وهذا يوحى بالاستعلاء، وهو ما يتناسب مع المكانة التي يحتلها الرسول في قلب الشاعر، كما جاءت(ألف المد) وصلاً ، وهى لها رنين إيقاعي مؤثر حيث امتداد الصوت ، ونبرة الاحتجاج على ما وصل إليه المسلمون من تخلٍ عن طريقهم المستقيم ، وصوت الأنين المتصاعد والزفرات الشاردة من هذا القلب المكلوم على أمته.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

بعد هذا العرض والتحليل لقصيدة (أين الطريق إليك؟) للشاعر الدكتور(صابر عبد الدايم) ورصد الألوان البلاغية التي حشدت في القصيدة، هناك بعض النتائج التي توصلت إليها منها:

---

(١) يراجع: موسيقى الشعر إبراهيم أنيس(٢٤٦).

١- أن الأساليب التي حملت الدفقات الشعورية عند الشاعر، تنوعت بين الخبر والإنشاء ، ولكن الأساليب الخبرية تأتى في المقدمة ، وقد بلغت ثمانين جملة خبرية .

٢- تأتى الأفعال المضارعة فى مقدمة بناء جمل القصيدة حيث بلغت خمسة وأربعين فعلاً ، وهذا يعكس عناية الشاعر بالصورة الشعرية، وحركتها ، وتوهجها ، وتليها الأفعال الماضية ، وعددها ثمانية وثلاثون فعلاً.

٣- إسهام أساليب الإنشاء في ترابط النص الأدبي، والوصول به إلى تعبيرات جمالية لما تحتويه من أساليب لها تأثير بلاغي، فأضافت أسراراً معنوية ظهرت من خلال بيان تلك الأساليب .

٤- تمثل القصيدة لوحة فنية بديعة تتعانق فيها الظلال ، والألوان ، والمسافات لتكون الضمائر التي اصطحبها الشاعر معه من أول القصيدة ، وأبرزها (كاف) الخطاب الذي جاء ذكره في سبعة وأربعين بيتاً ، إضافة إلى العنوان(أين الطريق إليك؟) الذي حدد من خلال ضمير الخطاب فيه هدفه الأسمى من نظم هذه القصيدة.

٥- تبدو ظاهرة تكرار الأبيات في القصيدة واضحة و التي تحمل معاني الحب للرسول الكريم(ﷺ) والبحث عن الطريق الصحيح ، مما يدل على أن هذه المعاني تلح علي الشاعر باستمرار وتطغى على تعبيراته.

٦-هذه القصيدة تكشف عن نفس ذكية تتراءى فيها المشاعر الرقيقة، والنزعات النبيلة.

٧- يظهر تأثر شاعرنا بمنهج القرآن الكريم في ابتعاد ألفاظه عن الألفاظ الوعرة الخشنة، وجنوحه إلى الاقتباس من معاني القرآن ، والسنة النبوية .

٨-أدرك الشاعر أهمية القافية ، ودورها الواضح في تقوية الإيقاع الموسيقى في البيت ، ومن ثم فإن القافية تعد من أهم العناصر في بناء قصيدته الشعرية والتي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بغرض القصيدة ، وحالته النفسية ، فكانت القافية متمكنة في مكانها

٩-ومن الملاحظ أن شاعرنا استغل التنوين في قصيدته واستغلالاً فنياً، واستفاد به في التلوين الموسيقى ، فأضفت على الأداء جرساً منغماً .

١٠- أنه في كثير من صوره ، وبخاصة المجازية منها يأتي ليؤسس لكناية أرادها أو تلميح قصد إليه.

١١- أظهرت الدراسة أن موسيقى القصيدة رائعة حيث استخدم بحر(الكامل) وهو من البحور الطويلة لأن شعره كله مغلف بغلاف الحزن والألم ، وهذا يفيض من البحور الطويلة التي تصاحبها نبضات قلب هادئة فالبحر الذي استخدمه مناسباً تماماً لحالته النفسية .

١٢- أما الإيقاع الداخلي : فقد ظهرت الدراسة طبيعتها النغمية، حيث ربط موسيقاه بتجربته مما أضفى على شعره إيقاعات متناسقة.

١٣- نوع الشاعر في استخدامه لموسيقى التكوين ومنها التكرار، والجناس والطباق محاولة منه لإبراز ما تضيفه هذه

المكونات على اختلافها مع حركة إيقاعية داخل النص الشعري تثير انتباه القارئ ، وتغنى النص بدلالاتها.

١٤- قام الشاعر بالاستشهاد ببعض الأحداث والشخصيات التاريخية ، لبعث الهمم وشحذ العزائم ، وهذا يعكس ثقافته وبراعته في تنوع الأساليب.

والله ولى التوفيق

فهرس المصادر والمراجع

١	الإبداع الفني في ديوان (نداء القمم)، للدكتور: صلاح الدين غراب ، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢	الاستعارة نشأتها وتطورها وأثرها في الأساليب العربية، للدكتور: محمود شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٩٨٤م.
٣	أسرار البلاغة، لعبد القاهر أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن

	بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار(المتوفى: ٤٧١هـ) ، مطبعة: المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر.
٤	الأعمال الكاملة ، للدكتور: صابر عبد الدايم ، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٥	الإيضاح في علوم البلاغة، تأليف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق(المتوفى: ٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الثالثة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي.
٦	بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، للشيخ: عبد المتعال الصعيدي مكتبة الآداب، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩ م.
٧	البلاغة التطبيقية، تأليف: مصطفى بدر زيد ، المطبعة الرحمانية، بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٤٤هـ-١٩٢٦م.
٨	البلاغة العربية في ثوبها الجديد، للدكتور بكر شيخ أمين، دار العلم للملايين، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٣م.
٩	البلاغة العربية، تأليف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي(المتوفى: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى،١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

١٠	البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشرى وأثرها في الدراسات البلاغية، للدكتور: محمد محمد أبو موسى.
١١	بناء القصيدة العربية الحديثة، للدكتور: على عشرى زايد ، مكتبة الآداب، الطبعة: الخامسة،١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م.
١٢	التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث ، للدكتور: صابر عبد الدايم، ط ، ١٩٩٠م.
١٣	التصوير الفني في شعر العميان، للدكتور: جهاد رضا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ٢٠١١م.
١٤	التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، للدكتور:علي علي صبح ، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
١٥	جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ، المكتبة العصرية ، بيروت، ضبط وتوثيق: د/يوسف الصميلي.
١٦	حروف المعاني وبلاغة النص، للدكتور: صلاح الدين غراب.
١٧	دراسات بلاغية، للدكتور: بسيوني فيود.
١٨	دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، للدكتور بسيوني فيود ، مؤسسة المختار،

	الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م.
١٩	دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار(المتوفى: ٤٧١هـ) ، مطبعة: المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر.
٢٠	دلالات التراكيب دراسة بلاغية، للدكتور: محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة: الرابعة،١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
٢١	شرح السنة، للبغوى: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(المتوفى: ٥١٦هـ) ، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش.
٢٢	الشريعة، للآجرى أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي(المتوفى: ٣٦٠هـ) ، دار الوطن ، الرياض - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي.
٢٣	شعراء وتجارب، للدكتور: صابر عبدالدايم، دار الوفاء ، الاسكندرية، ١٩٩٣م.
٢٤	الشوقيات ، للدكتور: يحيى الشامي ، بيروت، الطبعة: الأولى،

	١٩٩٦م.
٢٥	صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(المتوفى: ٢٦١ هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٢٦	الصورة البيانية في ديوان(مع الله) للشاعر عمر الأميري، تأليف الدكتور: صلاح الدين غراب ، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد الخامس والعشرون.
٢٧	علم المعاني دراسة بلاغية، للدكتور: بسيونى فيود.
٢٨	عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، للدكتور: فوزي خضر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م.
٢٩	الفروق اللغوية، للعسكري ، دار العلم والثقافة، للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، تحقيق: محمد إبراهيم سليم.
٣٠	الفنون البديعية فى دائرة البحث البلاغي، للدكتور: فوزي السيد عبد ربه، ٢٠٠٣م.
٣١	في الشعر الإسلامي والأموي للدكتور: عبدالقادر القط، دار المعارف.
٣٢	في صحبة النص، للدكتور: طارق شلبي، دار البراق – القاهرة.
٣٣	قراءة في الأدب القديم، للدكتور: محمد أبو موسى، مطبعة:

	وهبة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٨م.
٣٤	لبيد بن ربيعة العامري للدكتور: يحيى الجبورى، دار القلم، الكويت، الطبعة: الثالثة،١٩٨٣م.
٣٥	لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي(المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر ، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.
٣٦	اللمحة في شرح الملحة، لابن الصائغ، محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ(المتوفى: ٧٢٠هـ)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي.
٣٧	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد(المتوفى: ٦٣٧هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، والتوزيع، الفجالة ، القاهرة ، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة.
٣٨	المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
٣٩	مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام(المتوفى: ٧٦١هـ) ، دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة،

	م١٩٨٥ تحقيق: د. مازن المبارك- محمد علي حمد الله.
٤٠	المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله(المتوفى: ٥٣٨هـ) ، مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م، تحقيق: د. علي بو ملحم.
٤١	موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، للدكتور: صابر عبد الدايم، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٤٢	النحو الوافي، تأليف: عباس حسن(المتوفى: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف الطبعة: الخامسة عشرة.
٤٣	النحو والدلالة فى بنية النص الشعرى، للدكتور/ محمد السيد سعيد ، دار الحكمة- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.